# المقاومة من وجهة نظر قومية

الدكتور عصمت سيف الدولة

كان الحديث عن « المقاومة من وجهة نظر قومية » موجها الى جمع من الشباب العربي التقوا على موعد محدود في نادي « الوافدين » بالقاهرة مساء يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٩ . وبدأ الحوار بعد الحديث حتى انقضت حدود الموعد . تم لم تنقطع ساعات طويلة على مدى ايام عدة ، وشارك فيه شباب جاد في البحث عن اجابات لاسئلة محددة . وآخرون يثيرون الاسئلة لاختبار اجاباتهم المعدة . وغير هؤلاء وهؤلاء في مواقع عدة بصيغ متعددة . ولقد اثارت الاسئلة التي طرحت تساؤلات لم يطرحها احد . وثبت من كل هذا ان « المقاومة » اكبر اثرا ، واعمق محتوى ، من ان يكفي حديث قصير للاجابة عن كل ما تفجره من قضايا في اذهان الشباب العربي . فقد ذهبت الاسئلة والتساؤلات التي تثيرها « المقاومة » الى حد تناول كل القضايا الفكرية والحركية التي تتصل بالوجود القومي و مستقبل الحياة فيه ، او اغلبها ، ولما ينقطع الحوار بعد. عندئذ اصبح من حق المقاتلين في المقاومة ، وقيادا تهم ، والشباب العربي في كل مكان ، ان يشاركوا في الحوار الذي بدأ حديثا . فهاكم الحديث كما كان ، وهاكم الحوار ، بعد انتقاء اسئلته واجاباته بمقياس الموضوعية ، والصلة بالحديث ، وعدم التشهير بأي من القوى او المنظمات التي تقف في مواجهة العدو المشترك . وصياغتها مرتبة على وجه يتفق مع تسلسل نقاط الحديث ذاته . دعوة الى مزيد من الحوار البناء حول اسلوب الوفاء بمسؤولياتنا القومية .

ع. س.

## ١ ـ الحديث

**مدخل :**

**ان الحديث عن « المقاومة » حديث شائك لاسباب عدة . اولها اننا اذ نتحدث عن « المقاومة » لسنا على الحياد من معركتها البطولية ضد الغزو الصهيوني ، بل نحن مع « المقاومة » . ان هذا يعني أننا ملتزمون بحدود المعركة فلا نقول اذ نقول الا ما يدعم مقدرة « المقاومة » على النصر . والحديث عن المقاومة ، حتى فيما يدعم مقدرتها ، ليس سهلا في كل وقت . ذلك لان ثبات « المقاومة » في المعركة وتصاعد مقدرتها بعد هذا ، والبطولات الرائعة التي يقوم بها مقاتلو « المقاومة » قد أضفى على « المقاومة » هالة من القدسية لا تقبل من الحديث الا ما يشبه الصلاة والتمجيد . ومع هذا فقد تعلمنا من تاريخنا القريب ،**

ومن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ذاتها ان الصمت ، حتى لا نمس مشاعر بعض الجماهير فيما تأمل فيه وتقدسه ، قد أسهم في الهزيمة . فتراكمت السلبيات خفية حتى انهارت القوى التي ما كان يظن احد انها قابلة للانهيار . لهذا فقد اخترنا الحديث الشائك عن « المقاومة » . السبب الثاني ، اننا اذ نتحدث عن « المقاومة » نتحدث عن ابطال يواجهون الموت كل يوم ، او يموتون . ونحن نتحدث عنهم من مقاعدنا المريحة في القاهرة على وجه يبدو كما لو كنا ننتمي الى عالمين مختلفين منعزلين . هناك من يرون ـ ويرددون ـ ان وراء هذه العزلة تاريخا من صنع المثقفين العرب انفسهم ، اذ انهم أهدروا سنين طويلة في احاديث لم تنقطع الا عندما اكتشفوا انهم بينما كانوا مشغولين بتنميق الكلمات ورصها جملا وسطورا والقائها جدلا صاخبا ، كان العدو يعد في صمت قوته القاتلة التي اوقعت بدولهم الهزيمة فكشفت عن عقم الحوار الذي اضاعوا فيه اعمارهم وان فلسفة « السلاح » هي الصحيحة ، اما سلاح « الفلسفة » فهو عبث لا يطاق . ولا شك ان وراء هذا الاتهام قدرا محدودا من الحقيقة وان كان غير كاف لتغطية نوايا المغامرين . ومع هذا فقد تعلمنا من تاريخنا القريب ، ومن تاريخ الثورات في العالم ، انه اذا كان الفكر المجرد من السلاح عبثا فارغا ، فان السلاح المجرد من الفكر مغامرة جاهلة . وتعلمنا من قائد ثورة اكتوبر ، لينين العظيم ، انه « لا ثورة بدون نظرية » . من أجل هذا اخترنا الحديث الشائك عن « المقاومة » من وجهة نظر « قومية » يقينا منا بأنا ما نزال نفتقد من الفكر المحرك اكثر مما نفتقد من السلاح الفعال .

وحديثنا ، بعد ، ليس استعراضا فكريا بدون غاية . ان غايته ان يسهم في تحقيق قدر من الوحدة الفكرية بين الشباب العربي كمقدمة لازمة لوحدة ثورية يحقق بها هؤلاء الشباب النصر على اعداء المصير التقدمي الذي يتطلعون اليه . وليس اكثر تعويقا للوحدة الفكرية ، وبالتالي تكريسا للفرقة الثورية ، من عدم تحديد مضامين الالفاظ التي نستعملها في الحديث او الحوار . عندما نتكلم لغة واحدة ، بينما يعني بها كل واحد منا معنى مختلفا ، فنختلف . لهذا ستكون بداية حديثنا تحديدا لما نعنيه « بالمقاومة » ثم ما نعنيه بالنظرة «القومية» لعل هذا التحديد ان يساعد على ألا يفهم احد ما يقال على اساس من افكاره الخاصة . فاذا انتهينا من هذا التحديد الذي سيستغرق اكثر حديثنا سيكون سهلا علينا ان ندرك بدون حاجة الى حديث طويل ـ النظرة القومية « للمقاومة » .

مع التسليم مقدما بان كل هذا اجتهاد قد تختلف فيه الآراء .

## ماذا تعني « المقاومة » ؟

عندما نتحدث عن « المقاومة » نعني اسلوب القتال المسلح الجماهيري لتحرير الارض العربية من الغزو الصهيوني . فالمقاومة تعنينا ـ في نطاق هذا الحديث ـ من حيث هي « اسلوب » للنضال ، اسلوب قتال « مسلح » متميز عن النضال الدبلوماسي او الدعائي او الفكري . وهي « اسلوب » قتال مسلح « جماهيري » متميز عن الاسلوب الدولي واسلوب الحرب النظامية . ان هذا لا يعني ان المقاومة مجرد عصابات مسلحة مقطوعة الصلة بالصراع الدبلوماسي ، او الدعائي ، او الفكري ، وبالدول وسياستها وجيوشها . ابدا . انما يعني ان المقاومة اذ تلجأ الى واحد او اكثر من تلك الاساليب ، انما تفعل هذا كدعم ومساندة لاسلوبها المتميز : القتال الجماهيري المسلح .

ونحن نعلم ان « المقاومة » ضد الغزو الصهيوني ليست مجرد « مقاومة » دفاعية بل تتضمن نوايا هجومية تذهب الى حد تحرير فلسطين ، ومع ذلك نسميها « مقاومة » . ونعلم ان « المقاومة » مجسدة في عديد من المنظمات المتميزة من حيث منطلقاتها الفكرية ، او تركيبها البشري ، او غاياتها الاستراتيجية ، او مقدرتها القتالية ، او حتى بقادتها دون مميز موضوعي آخر . وكلها عندنا ـ في نطاق هذا الحديث ـ مقاومة . كما نعلم ان تلك المنظمات « الجماهيرية » المتعددة ليست على قدر موحد من الاستقلال او التبعية بالنسبة الى بعض الدول العربية . ومع ذلك نعنيها جميعا عندما نتحدث عن المقاومة . ذلك لان ما يهمنا من « المقاومة » في هذا الحديث هو تلك السمة المشتركة بين كل المنظمات وهي : اسلوب القتال الجماهيري المسلح .

## ماذا تعني « القومية » :

ان كان هذا واضحا وبسيطا فلعله مما يثير الدهشة ان يكون مفهوم « القومية » اقل وضوحا واكثر تعقيدا . يرجع هذا فيما نعتقد الى عوامل متعددة ومتفاعلة اهمها :

اولا ـ ان موجة المد القومي التي بدأت في سنة ١٩٥٥ قد جذبت اليها بعضا من المثقفين الذين فهموا القومية على انها انتماء سلبي يحقق لهم نصيبا في عائد انتصاراتها بدون ان ينتبهوا الى حدها الايجابي من حيث هي التزام بالنضال من اجل تحقيق مضامين حية . لهذا كثر الحديث عن القومية حديثا فارغا كتفاخر فقراء الريف بانحدارهم من عائلات عريقة ، منقرضة . وتلقف اعداء القومية تلك الاحاديث فاضافوها ـ بسوء نية ـ الى حساب الفكر القومي .

ثانيا ـ ان الحركات القومية المعاصرة للصعود الرأسمالي في اوروبا قد اسقطت على القومية كل مثالب الرأسمالية ، وادينت القومية بما جنت أيدي الرأسماليين ادانة تحتاج مراجعتها الى جهد علمي لا يقدر عليه الكثيرون او لا يرغبون فيه . فاصبح رفض القومية ملجأ مريحا للعاجزين عن فهم حركة التاريخ وما يجري تحت انوفهم في القرن العشرين .

ومنها واخطرها ـ ثالثا ـ ان الحركة القومية العربية قد صاحبت محاولات التحرر من الاستعمار التركي والاوروبي ، وبهذا سبقت التحول الاشتراكي الذي بدا بعد التحرر . فلما طرحت قضايا التحول الاشتراكي حاولت الرجعية العربية ان تغلف موقفها الرجعي بما تبقى لديها من تراث النضال القومي ، فافرغت القومية من مضمونها التقدمي وانقلبت القومية على ايديها الى مجرد رابطة عرقية متعصبة ورجعية .

وغير هذا اسباب كثيرة .

وهكذا اصبح الحديث عن القومية مباحا لعديد من التيارات المتناقضة ، كل منها يدعيها ، وكل منها له في الاحداث « وجهة نظر قومية » .

من اجل هذا ، لا بد لنا من أن نصبر على طول الحديث عن « القومية » ليكون مفهومها الذي نعنيه ، ونلتزمه ، ونرى « المقاومة » على ضوئه ، محددا الى اقصى درجة من التحديد ممكنة .

## الوجود القومي :

الذي لا شك فيه ان الوجود القومي ( الامة ) ، كأي معطى موضوعي ، قابل للمعرفة وان كان غير متوقف وجودا وعدما على تلك المعرفة . بمعنى اننا اذا عرفناه فذلك اكتشاف لحقيقة موضوعية . واذا لم نعرفه فالحقيقة قائمة وان كنا لا نعرفها . وقد وصل الكثيرون الى اكتشاف الحقيقة القومية عن طريق البحث العلمي باستعمال مناهج مختلفة . واصبح مسلما بأن ثمة وجودا اجتماعيا ذا خصائص متميزة يسمى « الامة » . ولكنا اليوم نريد ان نحاول اكتشاف تلك الحقيقة من منطلق جديد : المنطلق الاشتراكي . نريد ان نبدأ كاشتراكيين لنرى معا ما اذا كان ذلك سيصل بنا الى ان نكون قوميين .

لماذا ؟

ان ازمة المستقبل العربي كما نراها من الآن هي ان القوى الاشتراكية منقسمة الى قوميين ولا قوميين . لان وحدة القوى الاشتراكية في الوطن العربي كما نطلبها ضرورة قومية . لان المقاومة كما نعرفها لن تنتصر نهائيا الا ان اصبحت مقاومة قومية اشتراكية . ولن يغنيها عن هذا مليون فوهة بندقية .

فلنبدأ من البداية .

والبداية هي البحث عن اجابة عن ذلك السؤال الحيوي الذي لا بد ان قد طرحه كل منا على نفسه وهو : كيف احقق لنفسي حياة

افضل ماديا ومعنويا ؟... منفردا ؟... هذا غير ممكن فلكل منا اسرة ينتمي اليها ولا يستطيع ان يحقق لنفسه حياة افضل بمعزل عنها . فلتكن غايته اذن ، ان يحقق الحياة الافضل لنفسه واسرته معا ؟... منفردين ؟... هذا غير ممكن ، فاسرة كل منا جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي ينتمي اليه تؤثر فيه وتتأثر به سواء ارادت هذا ام لم ترده . اذن فالحياة الافضل ، بدون اختلاس ، لا يمكن ان تتحقق لاي منا واسرته الا في داخل مجتمع نسمح امكانياته وعلاقاته بالحياة الافضل التي نريدها لانفسنا .

من هنا يصبح دور كل منا ، وهو يسعى الى حياة افضل له ولاسرته ، ان يعمل ايجابيا لتطوير « المجتمع الذي ينتمي اليه » الى حيث تتحقق امكانيات وعلاقات الحياة الافضل . هذا الدور الايجابي يتضمن امرين اساسيين . الاول : ان لكل عامل ايجابيا الحق في ان يتطور المجتمع الذي ينتمي اليه ما دام هذا شرطا لازما موضوعيا لتطوير حياته الخاصة . أن هذا الحق ينصب على كل من الامكانيات والعلاقات: حق استرداد الامكانيات من مغتصبيها والمستأثرين بها ، وحق تنظيم العلاقات الاجتماعية بحيث يحصل كل واحد من عائد التقدم الاجتماعي على نصيب خاص متكافىء مع ما قدمه من عمل ايجابي ، مساهمة في ذلك التقدم . الامر الثاني : التزام كل عامل ايجابيا في مواجهة المجتمع الذي ينتمي اليه بان يسهم في تطوير المجتمع الى حيث يتحقق له ، ولغيره ، الامكانيات والعلاقات التي تسمح بحياة افضل . هذا الالتزام ليس التزاما منفردا ، بل التزام في مواجهة المجتمع . والمجتمع جماهير حية مريدة وقادرة على استيفاء حقوقها . وهذا يعني الا يقوم الالتزام بالنضال من اجل التقدم الا خلال علاقة جماعية منظمة تضع كل مناضل في مواجهة ، وتحت رقابة ، جماهير محددة هي جماهير « المجتمع الذي ينتمي اليه » .

الى هنا لا يثور خلاف بين الاشتراكيين .

فحق كل عامل في امكانيات المجتمع الذي ينتمي اليه ، او رفض الاغتصاب والاستئثار ، هو ترجمة للملكية الاجتماعية لمصادر الانتاج وادواته . وحق كل عامل في ان يحصل من عائد التقدم الاجتماعي على نصيب متكافىء مع ما قدمه من عمل ، هو ترجمة لشعار « لكل حسب عمله » . والتزام كل عامل ايجابيا في مواجهة المجتمع الذي ينتمي اليه هو ترجمة « للديموقراطية الشعبية » . والعمل الجماعي المنظم هو الصيغة التي تجسد تلك الديموقراطية .

عند هذا الحد كلنا اشتراكيون ، مناضلون في سبيل تقدم « المجتمع الذي ننتمي اليه » .

ثم يرد السؤال المهم :

ما هو ذلك «المجتمع الذي ننتمي اليه » ، ويرتبط مصيرنا بمصيره، والذي لنا حق في كل امكانياته ، وحق في صياغة علاقاته وعلينا التزام امام جماهيره بان نطوره ونحقق فيه الحياة الاشتراكية الافضل ؟.

ان طرح هذا السؤال ليس تفلسفا ولا نعسفا . بل ان الاجابة عليه شرط جوهري لنجاح اي نضال اشتراكي . اذ على ضوئه نعرف نقطة انطلاقنا ، وامكانياتنا المادية والبشرية ، وقوانا ، والقوى الحليفة لنا ، والقوى المضادة لغاياتنا ، وحلفاءها وساحة معاركنا المقبلة . وعلى اساسه نضع استراتيجيتنا ، وفي واقعه ندير معاركنا التكتيكية. ثم نقدم الحساب لجماهيره المحددة التي التزمنا امامها بان نحقق لها المستقبل الاشتراكي .

هذا اذا كنا جادين فيما ندعيه من تقدمية ، وما نعلنه من استعداد للنضال من اجل حياة افضل .

ونحن جادون .

فما هو المجتمع الذي ننتمي اليه ؟

اسهل الاجابات واقربها الى الذهن هي ان المجتمع الذي ننتمي اليه يتحدد « بالدولة » التي نحن رعاياها . فلكل « دولة » وطن ،وشعب، وفيها حكومة ، ولها امكانيات ، وعلاقات ، ومقدرة على التقدم . ذلك هو الامر الواقع .وليس من المنكر ان الامر الواقع هو بداية الطريق النضالي ايا كانت غاية هذا الطريق . وان تجاهل الامر الواقع او القفز من فوقه الى غيره مثالية تبدد الطاقات ولا تغير من الامر الواقع شيئا . ولكن اذا كانت الدولة امرا واقعا فان التخلف امر واقع، والاستغلال امر واقع ، والاحتلال امر واقع، واسرائيل امر واقع، والهزيمة امر واقع ، فلماذا لا نقبل كل هذه الامور الواقعة ؟ لان الاشتراكيين تقدميون فهم يعرفون ان كل ما يبدو امرا واقعا هو في حركة وتغير دائمين . وان ثمة في كل يوم جديدا تحت الشمس . وان مهمتهم على وجه التحديد هي تغيير الامر الواقع الى الامر الافضل. اذن ، فكون الدولة امرا واقعا يحدد لنا مجتمعا معينا ليس بالضرورة انها افضل تحديد للمجتمع الذي ننتمي اليه . ويكون علينا أن نبحث عن الحقيقة الموضوعية لهذا المجتمع لنرى بعد هذا ما اذا كانت الدولة تتفق مع تلك الحقيقة او لا تتفق . وعندما لا تكون الدولة متفقة مع تلك الحقيقة الموضوعية يجب ان تزول الدولة المصطنعة لتقوم بدلا منها الدولة التي تتفق مع حقيقة المجتمع الذي ننتمي اليه .

فكيف يمكن ان نكتشف تلك الحقيقة اللازمة لتحديد مدى التزامنا النضالي من اجل الاشتراكية ؟

يقول القوميون ان الوجود القومي ( الامة ) مسلمة علمية وذات خصائص يسهل معها تحديد نطاق الانتماء، ويقدمون في التدليل على هذا عديدا من النظريات ، التي اسهم بعض الاشتراكيين في وضعها عن خصائص الامة : وحدة اللغة وحدة الارض ، وحدة المصالح وحدة الشعور النفسي ، وحدة الارادة.. الى اخر النظريات التي قيلت في خصائص الامة . وينتهي القوميون من هذا الحوار الى ان الامم هي « المجتمعات » التي ينتمي اليها الناس ، وان لكل انسان امة، متكونة ، او في طور التكوين ينتمي اليها . وان التزامه النضالي يمتد الى ان يشمل كل امته وطنا وبشرا ، وان حقه في حياة افضل يمتد ليشمل كل امكانيات امته وعلاقاتها . ثم يضيف العرب القوميون : ونحن ابناء امة عربية واحدة ، فهي مجتمعنا الذي ننتمي اليه ، وامكانياتها حقنا ، والتزامنا قائم امام جماهيرها كافة برغم التجزئة الطارئة عليها .

والى عهد قريب جدا كانت كل الدراسات القومية في الوطن العربي تدور حول هذه الفكرة وتقف عندها .

ولم يكن هذا كافيا .

لم يكن كافيا لاذابة الجمود الفكري لدى بعض الاشتراكيين . ولم يكن كافيا لاقناع بعض آخر من الاشتراكيين بمضاعفة التزامانهم النضالية والتصدي لسحق الدول الاقليمية وتغيير الحياة في الوطن العربي كله بدلا من المهمة السهلة نسبيا وهي تغيير الحياة في جزء منه . وقد استفز هذا الرفض كثيرا من الاشتراكيين العرب فاحتدمت المعركة بين صفوف الاشتراكيين . وطبيعي ان الرجعية كانت المستفيدة الاولى من هذا الخلاف . والواقع ان ما وصل اليه الفكر القومي من بيان لخصائص الامة لم يكن كافيا ، ولا يمكن ان يكون كافيا لاقناع اي مناضل من اجل الاشتراكية بان يمد التزامه النضالي الى خارج حدود دولته ، بما يتضمنه هذا من اعباء ثورية مضاعفة ، لمجرد ان يقال له ان اولئك المقهورين خارج الحدود اخوتك ابناء امتك لانك تتكلم لغتهم ، وتعيش معهم على رقعة جغرافية واحدة ، ولك معهم مصالح مشتركة .. الخ. ومن باب اولى لم يكن كافيا ، ولا يمكن ان يكون كافيا ، لاي اشتراكي ان يستجيب لدعوة عصبية قومية غير ذات مضمون تقدمي فيهدر جهده من اجل معان مجردة غير قابلة لان تتحول الى حياة افضل خاصة اذا جاءت الدعوة من صفوف القوى الرجعية . ذلك لان الغاية النهائية للنضال الاشتراكي هو ان يحقق حياة افضل .

ولم يكن ثمة امل في وحدة القوى العربية التقدمية الاباكتشاف العلاقة بين القومية والتقدمية . ومع ان الثبات النسبي للرابطة القومية ، وانعكاساتها على البناء الاشتراكي في المجتمعات التي سبقت الى بناء الاشتراكية ، وصمودها كاطار للتقدم في تلك المجتمعات بالرغم من ادانتها كان يشير الى ان هناك علاقة موضوعية بين القومية والاشتراكية فان القومية كانت قابلة للاضعاف كرابطة والذبول كفكرة والفشل كحركة، في عصر الصعود الاشتراكي ، ما لم يثبت انها بذاتها رابطة تقدمية او على الاقل انها ليست عائقا في سبيل الاشتراكية .

وقد قدم الاشتراكيون العرب ، تحت الحاح رغبتهم في وحدة القوى العربية التقدمية ، ووفاء منهم بمسئولياتهم القومية امام الجماهير العربية ، عديدا من الدراسات التي استهدفت الكشف عن علاقة القومية والاشتراكية ، من جميع الزوايا الفكرية او التطبيقية التي تهم الاشتراكيين في حوار مفتوح مع القوى التقدمية . وكان ذلك هو الجانب الجاد من الحوار الذي استنفد سنين غالية من حياتنا على امل لقاء كل التقدميين في وحدة ثورية . حتى فوجئنا بالعدو الصهيوني الامبريالي المشترك يعصف باحلام الطامعين في بناء الحياة الاشتراكية الافضل في جزء منفرد من الوطن العربي وتبينوا في اسوأ الظروف تلك الوحدة الموضوعية والتفاعل المتبادل بين كل المشكلات التي يطرحها واقع الامة العربية ، وتذكروا تلك الكلمة التي قيلت لهم فصفقوا لها ثم نسوها او تناسوها او اخفوها (( ان التقدم العربي لا يمكن ان يقوم على اساس التجزئة )) .

ونحن نفترض ان الدرس القاسي قد اثمر فنعيد الحوار بدون استغلال لمرارة الهزيمة ونعود بهم الى حيث توقفنا : العلاقة بين القومية والتقدمية . هل القومية رابطة تقدمية ؟ هل تقف عقبة في سبيل الاشتراكية ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة ستكون اخر الحوار . والرفض المتعنت لها يضع ادعياء الاشتراكية في الوطن العربي موضع اتهام جاد وصريح يتناول ولاءهم للجماهير واشتراكيتهم ذاتها ، فان الوقت العصيب الذي تمر به امتنا لم يعد يسمح بمزيد من تدليل المتمردين على امتهم ولو رفعوا شعارات الاشتراكية .

## لماذا تكونت الامم :

قلنا من قبل ، ونقول الان ، لكل الاشتراكيين الذين يتنكرون لالتزاماتهم القومية ، ويقصرون ولاءهم على جماهير اقاليمهم بحجة ان القومية غير ذات علاقة بالتقدمية ، او بان الحركة القومية رجعية :

ايها الاخوة ،

ان مسالة الامة كظاهرة اجتماعية غير منكورة فالامم تملأ الارض وهي تطرح اسئلة ثلاثة :

الاول : ما هي الامة ؟ وفي الاجابة على هذا نظريات عديدة تعرفونها ولا تعنينا في هذا الحديث .

الثاني : كيف تتكون الامة ؟ والمتفق عليه انها تكوين تاريخي يتم على مدى حقبة طويلة من الزمان خلال المشاركة في احداث تاريخية نعرفها من تاريخ كل امة على حدة .

الثالث : الذي يعنينا الان هو :

لماذا تكونت الامم : لماذا لم تظل الاسر اسرا ، والعشائر عشائر، والقبائل قبائل ؟ لماذا تجاوزت المجتمعات تلك الاطوار البدائية حتى وصلت الى طور التكوين القومي ؟ لا يمكن ان يكون قد تم هذا كله اعتباطا . فالاشتراكيون خاصة يعرفون من منهجهم العلمي الا شيء يتم اعتباطا او مصادفة ، وان كل شيء حتى حركة المجتمعات من الماضي الى المستقبل محكومة بقوانين تضبط حركتها واتجاهها . كما يعرفون من منهجهم الجدلي ان التطور تقدم صاعد ابدا ، وانه لا يكرر نفسه ،بل ينمو من خلال الاضافة نموا جدليا .

اذان لماذا تكونت الامم ؟

يقول الاشتراكيون العرب ان المجتمعات البشرية قد تطورت من حيث النمو من الاسرة الى العشيرة الى القبيلة الى الشعب المستقر على الارض الى الامة خلال البحث عن حياة افضل . تلك الغاية التي لا تزال تحرك الانسان في اي مكان مهما اختلف مضمون الحياة الافضل . فالطور العشائري كان تحقيقا لحياة افضل عجزت الاسر منفردة عن تحقيقها . والطور القبلي كان تحقيقا لحياة افضل عجزت العشائر منفردة عن تحقيقها . والطور القومي كان تحقيقا لحياة افضل عجزت المجتمعات القبلية والشعوبية منفردة عن تحقيقها . وقد تم كل هذا خلال احداث ومراحل تاريخية مليئة بالصراع والهجرات والحروب بين القوى داخل المجتمعات ومع المجتمعات الاخرى المتماثلة بحثا عن الحياة الافضل ، استنفد فيها كل طور متخلف اقصى طاقته ، على التقدم ، فلما ان عجز عن مزيد من التقدم ، وكان لا بد له بحكم قوانين التاريخ ان يتقدم انتقل الى طور اكثر تقدما . اكثر تقدما من حيث انه يقدم له امكانيات التقدم لم تكن متاحة له في طوره السابق .

وهكذا ، اذا كنا نحن الان في الطور القومي ، واذا كنا ننتمي الى امة عربية تكونت تاريخيا ، فان هذا يعني ان تاريخنا قد استنفد كل مقدرة العشائر والقبائل والاقاليم العربية على التقدم قبل ان تتكون امتنا ، وانها عندما تكونت كانت دليلا تاريخيا لا ينقض على عجز المجتمعات الاولى التي تكونت منها على التقدم الاجتماعي منفردة . وانها هي الرابطة التقدمية التي تتيح لكل جماهير المجتمعات الاولى امكانيات التقدم الذي لم تكن متوافرة لها .

هل هي هي اخر طور ؟

هكذا يتساءل (( الاميون )) فنقول لا . فقياسا على حركة التاريخ الجدلية الصاعدة لا يمكن ان يكون الطور القومي اخر مراحل النمو الاجتماعي . بل نعتقد انه عندما يتم التكوين القومي لكل الامم التي لا تزال في طور التكوين، ثم تستنفد كل الامم اقصى طاقاتها على التقدم سيتم تكوين او تكوينات اجتماعية جديدة اكثر مقدرة على التقدم. كل ما في الامر اننا لا نعرف من الان كيف يكون التكوين الجديد كما لم تكن تعرف القبائل ان مصيرها الى الوحدة القومية . فقد يكون التكوين الجديد جغرافيا ،وقد يكون قاريا ، وقد يكون انسانيا عالميا . ثم اننا لا نعرف متى سيتم هذا على اي من تلك المستويات. ولكنا نستطيع ان نقول انه قياسا على ما استنفدته المجتمعات القبلية لتصبح امما ومع ادراك لزيادة معدل سرعة التطور الحضاري فان بين البشرية وبين تجاوز الطور القومي بضعة الاف من السنين تخرج ذلك الطور الاجتماعي المقبل عن الموضوع الذي يشغلنا وهو ـ حتى نتذكر ـ تحديد المجتمع الذي نلتزم في مواجهة جماهيره بالنضال الاشتراكي ونتحمل امامها مسئولية تطويره وتحقيق الحياة الاشتراكية الافضل فيه .

الامة العربية هي اذن مجتمعنا الذي ننتمي اليه ، والقومية هي الرابطة التقدمية التي تجمعنا لا مبرر للجمود ولا للخوف ، فان النصر معقود لاية حركة تتناسب مع المعطيات الموضوعية لساحة نضالها . والقومية هي الضمان للنصر الاشتراكي . وان كان ثمة من يرضيهم ان يضيفوا الى التزامهم القومي التزاما امميا نحو الوحدة المأمولة للمجتمع الانساني، فلا تثريب عليهم، ولكن نقول لهم دعونا اولا نوف بمسئولياتنا القومية نحو الجماهير التي نعرفها ويرتبط مصيرنا بمصيرها الى الاف السنين ، وان عشتم بعد هذا فافعلوا ما تريدون . وحتى قبل ذاك الحين فان قبولكم حقيقة الوجود القومي هو قبول للوجود القومي لامم اخرى ، والتزام

بالتعايش السلمي معها ، والتحالف مع حركاتها التقدمية ، ضدالرجعية العالمية المتحالفة . ذلك لان مجرد القبول بحقيقة الوجود القومي للامم جميعا لا يعني ان امتنا ليست جزءا مؤثرا ومتاثرا بالتطور البشري كافة ، لاننا ايضا امة من البشر .

تلك هي القومية .

## النظرة القومية :

عند هذا الحد ، حد اكتشاف المضمون التقدمي للقومية تصبح نظرية القومية ذات المضمون الاشتراكي عقيدة ( ايدلوجية ) كافية لتقييم الواقع العربي وتحديد استراتيجية تغييره ، وتعبئة قواه وقيادة المعارك فيه وتحقيق النصر لجماهيره . اي تكون كافية للتحول الى حركة قومية ثورية ذات منطلقات فكرية واستراتيجية حركية.

اما المنطلقات الفكرية فيمكن تلخيصها في جانبيها السلبي والايجابي في امرين .

١ ـ بما ان المجتمع العربي لا يتطور تطورا متكافئا معامكانياته الا بحشد كافة امكانياته لتطويره ككل فان الاقليمية التي تجسد التجزئة فكرا وتنظيما هي حركة رجعية فاشلة : رجعية لانها تعوق التطور الاجتماعي في الوطن العربي وفي اي جزء منه تطورا متكافئا مع الامكانيات العربية المتاحة ، وفاشلة لانها محاولة لاعادة الامة الى طور متخلف عن الطور القومي وهو مستحيل بحكم حتمية التقدم الصاعد في حركة المجتمعات .

٢ ـ انه بحكم الوحدة الموضوعية للمشكلات القومية فان اية مشكلة في اي مكان من الوطن العربي هي مشكلة قومية غير قابلة لان تحل حلا تقدميا متكافئا مع الامكانيات العربية الا من منطلق قومي باداة قومية في اطار التقدم الاجتماعي لجماهير الامةالعربيةككل. وبالتالي فان الحل التقدمي النهائي لكل مشكلات التقدم في الوطن العربي لا يتم الا في ظل دولة الوحدة العربية الاشتراكية والديموقراطية .

ان هذا لا يعني ان كل جزء من الامة العربية عاجز تماما عن تحقيق بعض التقدم لجماهيره ، ولكن يعني تماما ان ما يتحقق في كل دولة اقليمية اقل بكثير مما كان يمكن ان يتحقق للشعب فيها في ظل دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية .

واما عن الاستراتيجية فهي قائمة على اساس تلك المنطلقات الفكرية . تبدأ بالواقع وتنتهي الى غايتها العظيمة « اقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية » .وبدءا بالواقع العربي يمكن تقسيم استراتيجية الحركة العربية التقدمية الى خمس مراحل :ـ

المرحلة الاولى : الاعداد الفكري والبشري لقيام اداة الثورة العربية

المرحلة الثانية : اقامة اداة الثورة العربية تنظيما قوميا اشتراكيا ثوريا

المرحلة الثالثة : اشعال الثورة العربية التحررية الوحدوية الاشتراكية

المرحلة الرابعة : اقامة دولة الوحدة النواة العربية الثورية .

المرحلة الخامسة : تصفية الاقليمية واقامة دولة الوحدة الشاملة الاشتراكية الديموقراطية .

وطبيعي ان كل مرحلة من هذه تنطوي على مراحل تكتيكية لا داعي لحصرها الان ولا يمكن التنبوء بها مستقبلا . المهم ان نعرف ان الحركة العربية التقدمية تعيش الان في مرحلتها الاستراتيجية الاولى : مرحلة الاعداد الفكري والبشري لقيام اداة الثورة العربية . وانها من موقفها في هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفا من اي حدث دولي او عربي او اقليمي ، ومن كل القوى ، والصراعات والحروب . وعلى ضوء مقتضيات هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفا من الغزو الصهيوني ومن المقاومة .

فلننظر من هذه الزاوية ولنقدر الموقف العربي من الغزو الصهيوني بما فيه « المقاومة » .

## حقيقة الموقف :

ان حقيقة الموقف من وجهة نظر قومية تتلخص فيما يلي :

اولا : ان هناك غزوا صهيونيا لجزء من الوطن العربي يستهدف توطين اليهود عليه في دولة تمتد من الفرات الى النيل . بدأ الغزو الصهيوني تسللا قبل سنة ١٩٤٨ ثم مسلحا في ذلك العام ثم ما تلاه من توسع حتى سنة ١٩٦٧ ، وهو غزو في ظل دعم وتأييد الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية .

ثانيا : ان هذا الغزو موجه ضد الامة العربية بقصد الاستيلاء على جزء من الوطن العربي وانه قد بدا واتسع ونجح حتى الان في غيبة اية قوة قومية . ذلك لان التجزئة التي اقامها ذاتالاستعمار المؤيد للصهيونية ، والتي تجسدها الدول العربية الاقليمية ، قد حالت ، وتحول بين القوى المعتدية وبين القوى القومية المعتدى عليها بان حرمت على الجماهير العربية ان تتصدى للدفاع عن وطنها باداة قومية سياسية ( دولة الوحدة ) او باداة قوميةجماهيرية ( التنظيم القومي الثوري ) وان الدول الاقليمية على هذا الوجه قد اسهمت وتسهم بقدر في تغطية الغزو الصهيوني للوطنالعربي .

ثالثا : انه في غيبة القوى القومية تصدت الدول الاقليمية لهذا الغزو في حروب دفاعية ثلاث على مدى عشرين عاما ، وانهزمت في كل مرة بالرغم من تفوق امكانياتها المتاحة وان المرجع الاساسي لفشلها هو انها دخلت معركة قومية ـ او ادخلت فيها ـ بذهنية اقليمية ، من منطلقات اقليمية ، بادوات اقليمية ، كانت غايتها ان تدرأ خطرا يهدد سلامتها الاقليمية ولم تكن لدى اية دولة عربية في اي يوم من الايام ارادة تحرير الارض العربية في فلسطين .

رابعا : ان معركة ١٩٦٧ قد اسفرت عن غزو الصهيونية لاجزاء من اقاليم بعض الدول العربية . وبذلك تغيرت طبيعة المعركة بالنسبة الى هذه الدول فاصبحت طرفا اصيلا في المعركة ، فلم تقبل الهزيمة كما قبلتها في ارض فلسطين ، ولم تقبل المفاوضة كما فاوضت على ارض فلسطين ، وصمدت كما لم تصمد من قبل،وهي تعد العدة لحرب هجومية لاول مرة في تاريخها ، كل هذا وهي تعلن وتكرر اعلانها بان حدود معركتها هي ازالة اثار العدوان اي تحرير ارضها وليس تحرير الارض العربية في فلسطين .

خامسا : الحقيقة الخامسة من حقائق الموقف ان قد اسفرت جولة يونيه سنة ١٩٦٧ عن دخول الجماهير العربية طرفا فيالقتال المسلح ضد الصهيونية في شكل منظمات فدائية ، صمدت للقتال بينما القوى جميعا منهارة ، وتصاعدت مقدرتها حتى فرضت وجودها على الاطراف التقليديين للمعارك السابقة : الصهيونية من ناحيةوالدول العربية من ناحية اخرى . تلك هي المقاومة احدى حقائق الموقف الراهن في الصراع ضد الصهيونية .

## المقاومة من وجهة نظر قومية

قلنا ان الحركة العربية التقدمية تمر الان بمرحلتها الاستراتيجية الاولى وهي الاعداد لبناء اداة الثورة العربية تنظيما قوميا تقدميا ثوريا ، وانها من هذا الموقع تقيم وتحدد موقفها من الاحداث والقوى جميعا . وعلى ضوء ما اوردناه في نقاط خمس منحقائق الموقف في الوطن العربي يمكن تلخيص النظرة القومية على الوجه الاتي :

اولا : بالنسبة للغزو الصهيوني والامبريالي فانه يتناقض تناقض

الحياة والموت مع الحركة القومية لانه يستهدف الاستيلاء على ذات الارض التي تستهدف اقامة دولة الوحدة العربية ، عليها والقضاء على اي امل في قيام حياة افضل على الارض العربية ،وبالتالي فان سحق اسرائيل وتصفية الصهيونية العالمية هي القضيةالاولى والاساسية للنضال العربي .

ثانيا : انه اذا كان ذلك الغزو قد بدأ واتسع ونجح في غيبة القوى القومية ـ الطرف الاصيل في المعركة ـ فانه قابل للاتساع والنجاح طالما كانت القوى القومية بعيدة عن ساحة القتال وان التنظيم الثوري القومي الجماهيري والسياسي هو الاداة الوحيدة القادرة على سحق اسرائيل وتصفية الصهيونية .

ثالثا : ان الدول العربية ، كانت ، وما تزال ، وستظل ، منفردة او متحالفة غير قادرة على تحرير فلسطين لسبب بسيط هو ان تحرير فلسطين يقع خارج نطاق اهدافها كدول اقليمية وبالتالي فان اي مخطط لتحرير فلسطين يجب ان يقوم بعيدا عن اية تبعية لاية دولة عربية سواء كانت تبعية سياسية او تنظيمية او مالية او ادارية .

رابعا : غير ان الدول العربية التي فقدت اجزاء من اقاليمها في حرب يونيو ١٩٦٧ قد اصبحت طرفا اصيلا في المعركة الى ان تزول آثار العدوان ، ولهذا فان الموقف القومي يتطلب دعم مقدرتها على الصمود وتنمية مقدرتها على القتال ودفعها الى المعركة والحيلولة دون انسحابها منها او استسلامها ، مع التحوط ضد ما تعلنه من ان حدود معركتها تقف عند حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ .

خامسا : اما عن المقاومة كاسلوب فذلك هو المدخل التاريخي لانجاز المرحلة الاستراتيجية الاولى من مراحل الثورة العربية . فقد كانت الحركة العربية التقدمية تواجه صعوبات جسيمة تحول دون بناء تنظيمها القومي . كانت في حاجة الى مكان في الوطن العربي لا تمتد اليه قوانين وشرطة ومحاكم وسجون الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى ساحة نضال تعبىء فيها قواها وتربي كوادرها وتخوض معاركها بعيدا عن رقابة او وصاية او تخريب الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى تكوين جماهيري ثوري يتم ويقوم ويكتسب شرعية من مقدرته الذاتية على الوجود بعيدا عن جهود الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى الوجود المنظم الذي يمثل الجماهير العربية ككل ، ويحقق وحدتها القومية في ذاته ، بدون اعتداد بالانتماء السياسي لاية دولة عربية .

كانت ـ باختصار ـ في حاجة الى ممارسة اسلوب القتال الجماهيري المسلح الذي يكون السمة المشتركة بين منظمات المقاومة القائمة في الساحة الآن . الساحة التي هي مكان من الوطن العربي بعيد ـ فعليا ـ او يمكن ان يكون بعيدا عن قوانين الدول الاقليمية وشرطتها ومحاكمها وسجونها .

فكان المقاومة ـ من وجهة نظر قومية ـ تمثل افضل الامكانيات المتاحة مرحليا لبناء اداة الثورة العربية .

## دعوة الى القوى العربية التقدمية :

هل ينطبق هذا على كل منظمات المقاومة ؟

لا يمكن الهروب من الاجابة عن هذا السؤال الدقيق . فلنحاول الاجابة عنه في اطار ثلاثة حدود لا نتخطاها . اولها : اننا ندعم المقاومة ككل ضد العدو الرئيسي لامتنا العربية . ثانيها : اننا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة . ثالثها : ان المقاومة بكل منظماتها لم تتبلور بعد ـ نهائيا ـ لا فكرا ولا تنظيما ، فهي قابلة للتطوير والتطور.

في هذه الحدود نرى ان ثمة ثلاثة اتجاهات في المقاومة .

١ ـ اتجاه اقليمي مرتبط ببعض الدول العربية تنظيميا او ماليا او سياسيا .

٢ ـ اتجاه اقليمي فلسطيني يشكل الجانب الاكبر من المقاومة يمثل شعب فلسطين ويقاتل من اجل تحرير فلسطين لاقامة دولة فلسطينية .

٣ ـ اتجاه قومي غير متبلور وغير مفرز تماما ومتناثر بين منظمات محدودة الحجم او في قواعد كل المنظمات تقريبا .

وكل الاتجاهات تقاتل اليوم معركتها المشتركة ضد الصهيونية ، فهي في وضع يفرض عليها التحالف والتنسيق بين قواها . ولكنا نستطيع بسهولة ان نرى ان الاتجاه الاول سيخرج من المعركة بمجرد انقضاء مرحلة ازالة آثار العدوان اي بخروج الدول العربية المرتبط بها من المعركة بعد استرداد ما ضاع من اقاليمها في يونيو ١٩٦٧ .

اما الاتجاه الثاني الذي يجسد الاقليمية الفلسطينية فانه سيقاتل الى ان تتحرر فلسطين لان غايته ان يحررها وان يقيم فيها دولته . وهنا قد يبدو ان الاقليمية لا تساوي الفشل . والواقع انه الى ان تزول آثار العدوان قد لا تكون الاقليمية الفلسطينية سببا في اضعاف مقدرة المنظمات التي تجسدها . ولكن لننظر ماذا بعد ازالة آثار العدوان ؟ عندما ينفض حلفاء المرحلة ويعود حرس الحدود الى الحدود، وتطرح قضايا الامن الداخلي والالتزامات الدولية ، عندئذ ستكون تلك المنظمات امام اختبار دقيق . اما ان تصفي قواعدها او تقبل تصفيتها ، واما ان تستولي على قواعد في الدول العربية بالقوة المسلحة اي تدخل معارك ضد الاقليمية العربية ذاتها . ولن تكون حجتها في هذا الا ان لها حقا في الارض العربية خارج فلسطين ، اي الا اذا لاذت بالمنطلق القومي ، عندئذ ستتبين كم اخطأت عندما اختارت الملاذ الاقليمي . ولن تكون لها فرصة كسب المعركة الا اذا قبلت ان تكون للجماهير العربية حقا فيها وفي فلسطين لان ذلك هو المبرر لالتزام تلك الجماهير بتمكينها من النصر في قلب الارض العربية خارج فلسطين وعندئذ ستتبين ان الاقليمية تساوي الفشل ولو بعد حين . فان قبلت فقد تحولت الى قوة قومية . ولا بد ان تقبل . نقول لا بد لان الحقيقة الموضوعية لمعركة تحرير فلسطين انها معركة قومية ، لا تنتصر فيها الا القوى القومية . وبرغم كل قصر النظر ، وكل حسن النية ايضا ، فان المنظمات الاقليمية الفلسطينية ستجد نفسها في وقت ليس ببعيد انها اما ان تصبح قومية واما ان تهزم . لن يهزمها الاسرائيليون بل ستهزمها الاقليمية ، الاقليمية فيها والاقليمية خارجها . ان ما تواجهه في لبنان نموذج وانذار لما ستواجهه فيما بعد في دول عربية تقف معها الآن ضد الاقليمية اللبنانية .

انه مما يحير الفهم الا يرى الشباب الذين بلغت ثوريتهم حد الفداء المأزق القريب الذي هم مساقون اليه . ان كل ما سمعناه تأييدا لشعار « مسؤولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين » هو ان عزل الشعب الفلسطيني عن قضيته طوال عشرين عاما وتصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي اضاع فلسطين . ولا شك في ان عزل الشعب العربي من فلسطين عن معركة تحرير فلسطين وحبسه في مخيمات اللاجئين احد الاسباب التي مكنت للغزو الصهيوني من ان يستقر فترات طويلة بدون مقاومة . ولا شك في ان تصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي اضاع فلسطين . ولكن الا نتبين بوضوح انه اذا كانت الدول العربية قد عزلت الشعب العربي من فلسطين في مخيمات اللاجئين وحالت بينه وبين القتال لتحرير الارض المحتلة فانها في ذات الوقت كانت قد حبست الجماهير العربية في حدودها الاقليمية وحالت بينها وبين القتال لتحرير الارض المحتلة . وقالوا : لقد انقضى عشرون عاما ونحن مشردون ضائعون بلا وطن وبلا هوية ، فنحن نقاتل من اجل تحرير فلسطين ليكون لنا فيها ما نفتقده من وطن وهوية . وهذا صحيح ، ولكن الا نتبين بوضوح ان الاقليمية العربية هي التي حالت دون ان يكون لكم وطن وتكون لكم هوية يوم ان اعتبرتكم، انتم الذين تلقيتم عنها الضربة الموجهة الى الامة العربية كلها ، اجانب غرباء في بلادها ؟ الا نتبين بوضوح ان الاقليمية هي التي حاولت

وتحول دون ان يكون لكم في دولـــة الوحدة وطن وهويـــة ؟ فلماذا لا تقاتلون من اجل ما هو اسمى واشمل ، وتحاكمون القومية بما جنـت أيدي الاقليمية ؟ لماذا نصاغ المقاومة صيغة اقليمية فتصطنع بينها وبين الجماهير العربية حدودا بدون ارض وهوية بدون دولة وتمييزا بـدون موضوع . لكسب الرأي العام العالمي مـن خلال فكـرة « الدولـة الفلسطينية الديموقراطية » ؟..

هذا حوار افضل . ولكن هل جربتم كسبه من خلال فكرة « دولة الوحدة الديموقراطية » ؟ الحق انكم لا تكسبونه الا بمقدركم علـى النصر . ومع هذا فانما نسعى الى كسب الحلفاء والمؤيدين « للقضية » التي نكافح من اجلها والتي نعتقـد انهـا حق وعادلة . ولكنـا لا نغير قضايانا من اجل كسب الحلفاء والمؤيدين . افلا تعتقدون ان قضيـــة « دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية » اكثر حقا وعدلا مـن قضية « دولة فلسطين الديموقراطية » ؟

ان الجماهير العربية تعتقد انها اكثر حقا وعدلا واولى بان تكسب تأييد كل القوى التحررية التقدمية في العالم ولو بعد حين .

اننا نستطيع ان نستطرد الى ما لا نهاية ، ولكن الالتزام القومـي يفرض علينا ان نؤيد وندعم المقاومة ككـــل ، ونؤيد وندعم المقاومـة الفلسطينية بوجه خاص . لاننا نتحدث ونحن مشتبكون في المعركة فـلا يمكن ان نخذل المقاومة عموما . ولاننا نعرف انه عندما تنسحب القـوى الاقليمية العربية من ساحة القتال على اثر ازالة آثار العدوان ، لـن تبقى في الساحة الا المقاومة الفلسطينية التي ستقاتل الى ان تحـرر فلسطين ، فهي حليف طويل الامد نسبيا ، للقوى القومية تلك التـي يمثلها الاتجاه الثالث .

هذا الاتجاه الثالث لم يتبلور بعد ، وتتوقف بلورته على التعجيل باقامة التنظيم القومي الثوري الذي تكون منظمته المقاتلة فـي ساحة المقاومة هي قوته الضاربة ، وتتحرك تحت قيادتـه طبقـا لاستراتيجيته وفي حماية قواعده المنظمة على المستوى العربي .

كيف يتم هذا ؟

اننا نعرف ان شبابا عربيا في صفوف المقاومة يحلم احلاما غيـر واقعية وان شبح « جيفارا » العرب يعبث بمخيلة كثيـر مـن شبابنا العربـي . وان فلسفة « النواة المسلحة » المعزولة عن الجماهير ، غير المبلورة عقائديا ، التي تبني استراتيجيتها عن طريق التراكم التكتيكي ، وتبني قاعدتها الجماهيرية من خلال المعارك ، وتكون عقيدتها الثورية بعد ان تنتصر ، هذه الفلسفة التي روج لها « ريجي دوبريه » تتداول فـي صفوف المقاومة . وان اكثر من منظمة قـد تعجلت فاختارت اسمها ، ورسمت شاراتها ، ووضعت مواثيقها ، ورفعت شعاراتها القومية وهي تنتظر التحام الجماهير العربية حول قيادتها اعتقادا منها بان هكذا يكون التنظيم القومي التقدمي الثوري . اننا نشفق على هؤلاء الشباب مـن خيبة الامل المريرة التي سيعانونها عندما يجدون ان الجماهير العربية ، وان كانت تعطف عليهم ، لا تلتحم بهم . ونخشى ان ينزلقوا حينئذ الى اتهام الجماهير لانها لم تستجب الى دعوتهم العجولة .

ويهمنا ان نقول لكل المناضلين الذين يمثلون هـذا الاتجـاه ، ويتطلعون الى ان يكونوا القوة الضاربة لجماهير امتهـم العربية ، ان عبقرية « جيفارا » البطل كانت على وجه التحديد في استجابته لواقع الثورة في كوبا واختياره الاسلوب المناسب لها بدون تقيـد بالاساليب التقليدية ، وان محصلة الخبرة من ثورة كوبا الناجحة هي انها غيـر قابلة للتكرار بعيدا عن مثل الواقع الذي افرزها .

ان تحرير فلسطين احدى المهمات الاساسية للثورة العربية ولكنها جزء من معركة التحرر العربي . ومعركة التحرر العربـي ليست سوى مقدمة لوحدة الوطن العربي . وحتى معركة الوحدة ليست الا جـزءا مكملا لمعركة الاشتراكية . والنصر في كل تلـك المعارك لازم لتحقيـق الغاية النهائية : اقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية التـي تقدم للجماهير العربية في كل مكـــان امكانيات الحياة الافضل . ان نجاهل هذه الوحدة الموضوعية بين مشكلات الحياة في الوطن العربـي لن يؤدي الا الى الفشل . ان الجماهير العربية مع كل المناضلين ضـد الاعتداء الصهيوني الامبريالي ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هـو الى اي مدى ؟ لن تنتصر المقاومة ولن تنتصر الثورة العربية الا اذا كانت الجماهير العربية في كل مكان ملتزمة بدعمها والمساهمة فيها حتـى الموت . ليس الموت في معركة المقاومة ضد الصهاينة فقط ، بـل الموت حتى بعيدا عن الجبهة ضد القوى الاقليميـة والامبريالية والرجعيـة والانهزامية . لا يمكن ان تنتصر المقاومة وهي تواجه القـوى الصهيونية والامبريالية الا اذا استندت الى جماهير منظمة قادرة على ان تؤمـن للمقاتلين قواعدهم ومواردهم المادية والبشرية ومواصلاتهم ، وان تفرض سيطرتهـا على اي مكان في مؤخرة المقاتلين بعمق الوطن العربي كله. ان هذا لن يتحقق كما يجب ان يكون الا ان احاطت باسرائيل دولة الوحدة النواة كقاعدة للثورة ، ومع ذلك فان المعركة مستعرة وليس مقبـولا قوميا التخلي عنها لفتح معركة الوحدة ضد الاقليمية . ولكنا على يقين من ان الاقليمية هي التي ستفتح المعركة قبل ان تتحرر فلسطين لتصفية المقاومة . ان اوسع التأييد الذي يحيط بالمقاومة الآن لا يمكن ان يخفي عـن النظرة القومية العلمية ان تلك المعركة قادمة لا شك فيها . وحينئذ سوف يتوقف النصر او الهزيمة على ما اذا كان للقـوة المقاتلة فـي فلسطين قواعد جماهيرية قادرة عـلى مواجهـة الاقليمية والانتصار عليها ام لا .

ان هذا يحتم ان تكون المقاومة القومية جزءا مـن تنظيم جماهيري ثوري يضم الجماهير العربية في باقي اجزاء الوطن العربي ويؤمـن لقوته الضاربة المقدرة على الاستمرار في القتال حتى النصر . فهـل تكفي بطولة السلاح محورا لهذا الالتقاء ؟ هـل يكفي التأييد العاطفي للموت في سبيل استمرار المقاومة حتى النصر ، ولـو تطلب هـذا العصف بواحدة او اكثر من الدول العربية ؟

نقول لا يكفي . فان الجماهير العريضة لا تقدم على الموت انفعـالا ولكن تضحي في سبيل غايات معروفة ومحددة . والجماهير العربيـة على استعداد للتضحية من اجل ازالة آثار العدوان ، ومن اجل تحرير فلسطين ، ولكنها لا تقدم على الموت الا اذا عرفت انها تموت من أجـل حياة افضل لاسرها واولادها . الا اذا عرفت علاقة النصر فـي معركة ازالة آثار العدوان ، او معركة تحرير فلسطين بالنصر في معركة الحياة. ذلك هو المصدر الوحيد للصلابة الثورية والمقدرة على مواجهة مخاطـر المعركة الطويلة المريرة .

ولا احد يستطيع ان يقدم للجماهير العربية ضمانا بان تضحياتها ستؤدي الى مستقبل اكثر رخاء واكثر حرية الا هـي ذاتها متجمعـة وملتحمة في تنظيم قومي غايته النهائية ان يحقق لها حياة افضل : ان يقيم لها دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية . اذن لا تكفي اخـوة السلاح بدون التزام عقائدي ، ولا تغني الجبهات المساندة عـن الوحدة التنظيمية ، كما لا يغني التحرك الانفعالي عن المسيرة العلمية .

ان مثل هذا البناء ليس مسؤولية المقاومة القومية ، ولكن المقاومة القومية شريكة فيه وذات حق في ان تكون جزءا منه . لهذا فاننا لـم نوجه دعوتنا الى المقاتلين في ساحة المعركة . ان كل ما هو مطلوب مـن هؤلاء ان يلتحموا في منظمة مقاتلة وان يثبتوا من خلال المعارك الحيـة جدارتهم بان يكونوا القوة الضاربة لجماهير امتهم العظيمة ، ثـم ان يحذروا من اغراءات البطولة فيتحدثوا الى تلك الجماهير مـن مواقع مسلحة ، وان يتجنبوا ان يصوغوا انفسهم فكرا وتنظيما وحركة فـي استعجال معزول عن مساهمة الجماهير نفسها في تلك الصيغة الفكرية التنظيمية الحركية . ثم ان يقبلوا من الآن ان يكونوا جزءا من تنظيـم قومي ثوري يعملون تحت قيادته .

الـى متـى ؟

لا يمكن ان يطلب منهم الانتظار ـ الى ان تخرج القـوى القومية التقدمية من ترددها المدمر وتكف عن الانتظار العقيم حتـى تحقيـق

شروطها الخاصة لكي تقتحم المعركة . ان الجانب الاساسي من بنـــاء التنظيم القومي الثوري يقع علـى عاتق القوى العربية التقدمية وليس على جانب المقاومة . وان مسؤولية النصر في المعركة الدائرة ضـــد اسرائيل واقعة على عاتق تلك القوى . وهي اذ تتخلى عن مسؤولياتها لن تستحق الا هزيمة اخرى . ولن يجديها حينئذ البكاء مرة اخرى كما بكت في يونيو ١٩٦٧ .

ان كتائب « انصار » المعركة يجب ان تشكل في كل مكان من الوطن العربي لدعم المقاومة فكريا وماليا وبشريا وسياسيا وعسكريا تمهيـــدا لالتحامها مع المقاتلين القوميين من خلال مؤتمر قومي ينبثق عنه التنظيم القومي الاشتراكي الثوري . عندئذ ستتحول المقاومة الـــى اداة للثورة العربية قادرة على ان تستمر في المعركة حتى النصر .

تلك هي المقاومة من وجهة نظر قومية .

## الموقف القومي من المقاومة :

« المقاومة » من وجهة نظر قومية تعني المقاومة كما يجب ان تكون. اما الموقف القومي من « المقاومة » فيعني موقف القوى القومية التقدمية ( منظمة او غير منظمة ) من المنظمات الاخرى المشتبكة فـــي القتال ضد الغزو الصهيوني للارض العربية . وهذا الموقف يتحدد بالموقف القومـي من المعركة وقواها .

ونحن نرى بوضوح ان لمعركة تحرير فلسطين مرحلتين :

### ١ ــ المرحلة الاولى :

١ ــ الهدف : ازالة آثار العدوان ( استرداد الارض المحتلة بعـد يونيو ١٩٦٧ ) .
٢ ــ القوى الرئيسية : القوى القومية التقدمية المقاتلة والشعبية.
٣ ــ القوى الحليفة :
أ ــ المنظمات الجماهيرية الاقليمية المقاتلة .
ب ــ الدول العربية .
جـ ــ القوى الماركسية في الوطن العربي .
د ــ قوى المعسكر الاشتراكي ( دوليا ) .
هـ ــ قوى الحركة التحررية العالمية .
٤ ــ القوى المضادة :
أ ــ القوى الاسرائيلية ( الدولة ) .
ب ــ القوى الصهيونية ( المنظمة عالميا ) .
٥ ــ حلفاؤهـا :
أ ــ القوى الامبريالية ( الولايـــات المتحـدة الاميركية والاستعمار ) .
ب ــ القوى العربية المرتبطة بالاستعمار والولايات المتحـدة الامريكية .
جـ ــ القوى الداعية الى المساومة او الاستسلام .
د ــ القوى العاملة على اضعاف المقدرة العربية على القتال.

### ٢ ــ المرحلة الثانية :

١ ــ الهدف : تحرير فلسطين وتصفية الوجود الاسرائيلي .
٢ ــ القوى الرئيسية : القوى القومية التقدمية المنظمة المقاتلـة والشعبية .
٣ ــ القوى الحليفة : القوى الاقليمية « الفلسطينية » .
٤ ــ القوى المضادة :
أ ــ القوى الاسرائيلية ( الدولة ) .
ب ــ القوى الصهيونية ( المنظمة عالميا ) .
جـ ــ الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحـدة الامريكية والاستعمار .
٥ ــ حلفاؤها : الرجعية العربية العميلة للاستعمار والولايـات المتحدة الاميركيـة .
٦ ــ قوى تنسحب من المعركة او التحالف .
أ ــ المنظمات الاقليمية العربية ( من غير فلسطين ) .
ب ــ الدول العربية الاقليمية .
جـ ــ القوى الماركسية فـي الوطن العربي ( مـن غيـر فلسطين ربما ) .
د ــ قوى المعسكر الاشتراكي .

لقد وضعنا الاجابة بهذه الصيغة ليسهل علينـا تحديد ضوابط المواقف التكتيكية للقوى العربية التقدمية على ضوء التفرقة الحاسمة بين قوى المعركة في كل من المرحلتين . ويمكن اجمال تلـك الضوابط فيما يلي :

اولا : انه لا يجوز تحت اي ظرف اثارة معارك مع القوى الحليفـة في كل مرحلة فلن يستفيد من هذا الا العـدو المشترك . ان الوقوف موقفا عدائيا ، دعائيا ، او حركيا ، ضد اية قوى مقاتلـة ، او مشتبكة ، او مجابهة ، عسكريا ، او فكريـا ، او سياسيـا ، لقـوى اعدائنـا وحلفائها ، خطأ تكتيكي مدمر في هذه المرحـلة . ان اقصى ما يمكـن الذهاب اليه هو اتخاذ موقف دفاعي ضد الحلفاء الذين يرتكبون هـذا الخطأ ، بدون وعي ، او استغلالا لظروف المعركة قاصدين تحقيق النصر لحسابهم الخاص . على ان يبذل كل صبـر ثوري ضد اي استفزاز ، وتبذل كل محاولة ممكنة لتنمية اسباب التعاون وتوثيق التحالف وتصفية اسباب الخلاف . نقول هذا مدركين تماما ان الساحـة لا تخلو مـن تخطيط واع لتخريب العلاقة بين القوى التي تقف معنا لفض تحالفهـا او تحويلها عن هدفها المشترك . كما اننا ندرك تماما التخريب الذي قد ينتجه الجهل الذي يعربد تحت حمايـة السلاح ، او الانتهازية التـي تبحث عن مكاسبها الخاصة . ولكنـا مدركون في الوقت ذاتـه ان الاستجابة لكل هذا والمساهمة فيه عن طريق قبول الدخول فـي معارك جانبية بين القوى المتحالفة هـو « موضوعيا » وبصرف النظر عـن المبررات اضعاف للمقدرة العربيـة ومساعـدة غيـر مباشرة للقوى المعادية .

ثانيا : ان مواقع القوى ستتغير جذريا بعد انتهاء مرحلة ازالـة آثار العدوان . والدخول في مرحلة تحرير الارض المحتلة من فلسطين قبل سنة ١٩٦٧ وتصفية الوجود الاسرائيلي . وان كثيرا مـن القوى المشاركة الآن في القتال ، والحليفة ، ستنسحب من المعركة ثـم تكتفي بالتاييد الادبي ، او تقف على الحياد ، او تنضم الـى تحالف القوى المعادية . انها تلك القوى التي تقبل الوجود الاسرائيلي علـى الارض العربية او غير مستعدة للقتال حتى تصفية ذلك الوجود . تلك هـي اخطر مرحلة سيواجهها النضال العربي . وفيهـا ستقـع مسؤولية الاستمرار في المعركة على عاتق :

١ ــ القوى القومية التي تقاتل من اجل تحرير فلسطين لانها جزء من الوطن العربي ولتقيم دولة الوحدة .

٢ ــ القوى الاقليمية الفلسطينية التي تقاتل مـن اجل تحريـر فلسطين لانها وطنها الخاص لتقيم فيه كما تقول « الدولة الفلسطينية الديموقراطية » .

ثالثا : على ضوء هذا فان ضابط الموقف القومي مـن المقاومة الآن اي في مرحلة ازالة آثار العدوان تتلخص في امرين : ( أ ) دعم المقاومة ككل في مواجهة القـوى المعادية وحمايتها مـن محاولات الاضعاف او التصفية والوقوف معها ضد اية قيود تفرضها عليها الدول العربيـة . ( ب ) نقد المقاومة في خصوصية « الاقليمية » عن طريق التركيز علـى ما تسببه تلك الاقليمية ( فكرا ، وصيغـة ، وعلاقات ) مـن اضعاف لمقدرتها على النصر .

# ٢ ـ الحـوار

## مدخـل :

سؤال ( ١ )

أليس من المبالغة القول بانا ما نزال نفتقد من الفكر المحرك اكثر مما نفتقد من السلاح ؟ لقد هزمتنا اسرائيل بقوة مسلحة متفوقة ولـم تهزمنا في مناظرة فكرية . بل ان الواقع الاجتماعي الذي يضم اشتاتـا من الناس في الارض المحتلة وكما يشير اليه تعدد الاحـزاب وكثرتها هناك يدل على تمزق الاتجاهات الفكرية . وبالرغم من هذا فـان المقدرة المادية قد حققت لاسرائيل النصر حتى الآن .

جواب ( ١ )

لا اعتقد ان هناك مبالغة في القول باننا نفتقد من الفكر المحـرك ـ الفكر المحرك وليس الفكر المجرد ـ اكثر مما نفتقد من السلاح . وليس صحيحا ان مرجع انتصار اسرائيل على الدول العربية حتى الآن هـو تفوقها في القوة المسلحة . الاسباب اعمق واقدم من هذا . لقد ثبت ان اسرائيل كانت تعد العدة للقتال في سنة ١٩٦٧ منـذ ١٩٥٦ . وكانت تعد للقتال ١٩٥٦ منذ ١٩٤٨ . وكانت تعد للقتال سنة ١٩٤٨ منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ . ومن قبل هذا بنصف قرن كانت تعـد المقاتلين والمال اللازم للقتال . ان هذا التخطيط طويل المـدى ( الاستراتيجي ) هو المرجع الاول لانتصار الصهيونية حتى الآن . وقـد كانت الصهيونية العالمية تخطط للمستقبل منذ اكثر من قرن علـى ضوء فكرة محـددة ومحركة هي اقامة دولة يهودية تمتد من الفرات الـى النيل . ولا شك ان الفكرة ذاتها غير مقطوعة الصلة بمعطيات مادية وفكرية سبقتها،ولكن ابتداء من تكوين الحركة الصهيونية اصبحت القـوة المادية الماليـة والعسكرية تعد وتنتقي ويتم التدريب عليهـا لتكون كافية لتحقيـق اهداف الصهيونية خطوة خطوة . ولولا هذه الوحدة الفكرية لما التزم الصهاينة جيلا بعد جيل وفي كل مكان من الارض بأن يبذلوا من اموالهم وجهدهم ما يكفي لبناء قوة عسكرية متفوقة .

اما عن انعدام الوحدة الفكرية في الارض المحتلة بين اشتات مـن الناس فتلك حقيقة يجب ان نفهم في حدودها . انهم مختلفون فيمـا يتعلق بكيفية الحياة في اسرائيل . ويذهبون في هـذا الاختلاف مـن اقصى اليسار الى اقصى اليمين . ولكن خلافهم هـذا لا يتجاوز مداه ليتناول وجودهم في الارض المحتلة ، اي وجود اسرائيل . ان الوحـدة الفكرية هنا متحققة الى اقصى درجاتها . وهي هـي الفكرة المحركـة للنشاط الهادف الى اعداد القوة العسكرية المتفوقة . اي ان التفـوق المادي استلزمته واقامته فكرة الحفاظ على الوجود الاسرائيلي والتوسع فيه حتى يتم تحقيق الغاية القديمة ، الدائمة ، اقامة دولة يهودية مـن الفرات الى النيل وفي هذا هم متفقون .

على عكس هذا كان الامر في الجانب العربي . اننا نمتلك امكانيات مادية وبشرية اكثر بكثير مما تملكه الصهيونية العالميـة . ونستطيع ان نعد قوة عسكرية اكثر تفوقا مما تستطيعه اسرائيل . كـان ذلك هـو الوضع دائما . ولكن العقيدة المحركة لحشد هذه الامكانيات والاعـداد العسكري لهزيمة الصهيونية كانت مفتقدة دائما . وليس ادل على هـذا من ان الحروب التي خاضتها الدول العربية كانت كلها حروبا دفاعية . كما انها دخلت كل الحروب بدون ان تكون مستعدة لها ، او حتى بدون ان تتوقعها . وافتقاد الفكر المحرك هو الذي حال دون التقاء العرب على تخطيط استراتيجي طويل المدى لمواجهة المخططات الصهيونية . وهـو الذي حال دون وحدتهم اللازمة لهزيمة الغزو الصهيوني الامبريالي .

انه اذا كان يبدو الآن على ضوء احداث جرت في يونيو ١٩٦٧ ان التفوق المادي العسكري كان العامل الحاسم في الهزيمة ، فان هذا لا يعني ان اسباب هزيمة ١٩٦٧ كانت عسكرية ، بـل الهزيمة العسكرية كانت النتيجة الحتمية لاسباب اسبق منها واعمق . اهمها انه لـم تكن لدينا فكرة محركة تحدد الغاية التي اعددنا لها قواتنا المسلحة . وعندما جاءت المعركة لم نفتقد السلاح فقد كان وفيرا ، ولكنا افتقدنا معرفـة كيف نستعمله .

## ماذا تعني المقاومة :

سؤال ( ٢ )

ان الحديث عن « المقاومة » ككل بالرغم مما قيل من انها مجسدة في منظمات متعددة متميزة مـن حيث منطلقاتها الفكرية او تركيبهـا البشري او غاياتها الاستراتيجية ، والتركيز على انها « اسلوب القتال الجماهيري » فيه عناية بالشكل اكثر من العناية بالمضمون ، في حين ان العبرة في استحقاق اية ثورة للنصر هو بمضمونها الاجتماعي . هـل تجوز التسوية مثلا بين منظمة تخوض الثورة من اجل مجتمع اشتراكي لمصلحة الكادحين وبين بعض المنظمات التي لا تريد حتى ان تفصح عـن مضمون التزامها الاجتماعي ؟

جواب ( ٢ )

لا توجد حركة ، ولا ثورة ، بدون مضمون . بل ان كـل حركة او ثورة ذات مضامين مركبة . والحديث عـن المقاومة كاسلوب قتـال جماهيري لا يعني تجاهل مضامينها الاجتماعية ، ولكن يعنـي اختيارا للزاوية التي تتصل بموضوع الحديث . والمقاومة ككل متميزة بانهـا اسلوب قتال جماهيري . اما من حيث مضامينها فانها جميعا كما نعتقد ذات مضمون « تحرري » بحكم انها قوة مقاتلة ضد الغزو الصهيوني . وهي هنا متشابهة بل انها لا تتميز في هذا عن حركة الدول العربيـة التي تواجه اسرائيل . فحركتها تلك ذات مضمون تحرري ايضا . وفيما يتجاوز المضمون التحرري تختلف المنظمات والدول نفسها مـن حيث المضمون الاجتماعي . وحتى ونحن نتكلم عنها من موقف قومي فانا نأخذ موقفا ذا مضمون تحرري وحدوي اشتراكي ، ونقيسها عـلى موقفنا ، وندعوها اليه . لاننا نعتقد ان العبرة في استحقاق ايـة ثورة للنصر ليس بمضمونها الاجتماعي فقط ، ولكن بمضمونها الصحيح اي الـذي يستجيب لمتطلبات الواقع . والواقع هنا واقع عربـي محتل مجـزأ متخلف . ونحن لم نشأ ان ندخل في محاكمات المنظمات بعضها للبعض الاخر ، اعتقادا منا بان القضايا التـي تختلف عليها لا تؤثـر فـي استحقاقها للنصر الا من حيث بعدها او قربها مـن المضمون القومي التقدمي الذي ندعوها اليه . وان الخلاف حول المضامين الاجتماعيـة لا ينفي الوحدة حول المضمون التحرري الذي لا يكتمل الا فـي اطاره القومي . مع ملاحظة ان استحقاق النصر هنا ليس استحقاقا قانونيـا بل يستحق النصر من يقدر على تحقيقه ولا تقـدر عليه وبالتالـي لا تستحقه الا المقاومة القومية الاشتراكية . ان اي مضمون غير هذا ، او دون هذا ، او يتجاوز هذا ، خطأ لن يؤدي الى النصر .

## الوجود القومي :

سؤال ( ٣ )

اني لا ارى ان المدخل الى معرفة الوجود القومي او الامة هـو ان نبدأ كاشتراكيين . وربما يكون العكس هو الصحيح . اي اننـا اذا بدأنا كقوميين يمكن ان نصل الى ان نكـون اشتراكيين ، باعتبـار ان القومية تتضمن الولاء للجماهير العريضة التي تتكون منهـا الامة ولان الوجود القومي اقدم من النظام الاشتراكي وسابق عليه تاريخيا .

ـ التتمة على الصفحة ٥٤ ـ

# المقاومة من وجهة نظر قومية

ـ تتمة ـ المنشور على الصفحة ١٠ ـ

## جواب ( ٣ )

ان الوجود القومي ( الامة ) كمعطى موضوعي يمكن معرفته عن طريق المناهج العملية . فالبحث العلمي هو المدخل الصحيح لمعرفة الوجود القومي . وقد عرف كثير من الناس حقيقة انتمائهم القومي وتعرفوا على امتهم قبل ان يعرفوا شيئا عن الاشتراكية . ولكنا في حديثنا لا نستهدف التدليل على الوجود القومي . انما نستهدف الوصول الى اقناع بعض الاشتراكيين في حوار موجه اليهم بان القومية رابطة بقدمية اولا تقوم عقبة في سبيل الاشتراكية . وفي مراحل سابقة وضع القوميون تحت نظر هؤلاء الاشتراكيين دراسات علمية عن القومية وتركوا لهم ان يتعرفوا على تلك العلاقة بانفسهم. ولكن في هذه المرحلة حيث اصبحت وحدة القوى التقدمية ملحة بحكم المعركة ، نرى ان ندير الحوار معهم انطلاقا من مواقفهم ذاتها ليتبينوا انهم كاشتراكيين مطالبون بالالتزام القومي . وعلى هذا فالاشتراكية ليست مدخلا لمعرفة الوجود القومي ، ولكنه المدخل الذي قد يكون مناسبا لاخراج بعض الاشتراكيين من عزلتهم وتحطيم جمودهم العقائدي وانفتاحهم على جماهير امتهم .

## سؤال ( ٤ )

اذا كان صحيحا أن البدء من منطلق اشتراكي يؤدي بنا الى ان نكون قوميين فكيف يمكن التوفيق بين هذا وبين الخبرة التاريخية التي اثبتت ان الاشتراكية نجحت في كثير من انحاء العالم كنظرية وكثورة وفي التطبيق بدون اعتداد بالقومية بل نستطيع ان نقول من موقف معاد للقومية .

## جواب ( ٤ )

اولا ان الخبرة التاريخية للاشتراكية كنظرية وفي التطبيق لم تكتمل بعد حتى نستطيع ان نحتكم الى محصلتها النهائية . ولكن ما تحقق حتى اليوم من خبرة يدل على اتجاه ثابت لاكتشاف العلاقة بين القومية والاشتراكية . فكلنا يعرف ان الاشتراكية التقليدية بدأت بموقف عدائي صريح للقومية على زعم انها من خلق البورجوازية المستغلة التي تسعى الى السيطرة على السوق القومي . ولكنا نعرف الآن وبعد اكثر من نصف قرن من التطبيق الاشتراكي ان اكثر الدول الاشتراكية قد اعترفت ـ من خلال خبرتها في التطبيق ـ بتأثير الخصائص الخاصة بكل مجتمع على البناء الاشتراكي فيه . وعندما تجاهلت بعض الدول هذه الخصائص ثار ، وما زال يثور ، نوع من الصراع بين الدول الاشتراكية . وهكذا تفرض « الخصائص » الخاصة بكل مجتمع ذاتها على الاشتراكيين ويقبلونها بالتدريج ، خفية او صراحة . من اين جاءت هذه « الخصائص » ؟ ليس من المنطلقات الاشتراكية فقد بدأت واحدة . وليس من المعالم الجغرافية فهي لا تختلف في يوغوسلافيا مثلا عنها في البانيا ، او في المجر عنها في رومانيا ، او في جبال الصين عنها في جبال الاورال . ولكن جاءت نتيجة تراث تاريخي كسب به كل مجتمع خصائصه . فأصبحت تلك الخصائص مميزا قوميا له . ولسنا نشك في انه لن يمضي وقت طويل حتى يصبح مسلما بان لكل امة اشتراكيتها الخاصة بها ، كنظرية وكثورة وكنظام اجتماعي . حينئذ تكون الخبرة التاريخية في هذه الخصوصية قد اكتملت بالاعتراف بالعلاقة التقدمية بين القومية الاشتراكية بعد ان كانت قد بدأت بافكار الاشتراكيين للقومية .

## سؤال ( ٥ )

ان اتخاذ السؤال « كيف احقق لنفسي حياة افضل ماديا ومعنويا» كمدخل للوصول الى الحل الوحدوي الاشتراكي يكشف عن منطق فردي لا يستقيم مع القول بأن الوجود القومي « الامة » معطى موضوعي غير متوقف على معرفتنا ، لان هذا الوجود الاجتماعي يعني انه لا وجود للفرد منعزلا عن مجتمعه بحيث يبدأ مسيرته النضالية من ذاته كما لو كان وحيدا .

## جواب ( ٥ )

اعتراض صحيح فيما يتعلق بان لا وجود للفرد منعزلا عن مجتمعه بحيث يبدأ مسيرته النضالية من ذاته كما لو كان وحيدا . ولكن من ناحية اخرى لا يوجد مجتمع غير متكون من افراد . فالفرد جزء متفرد وان كان جزءاً من كل يحتويه . وبين الفرد والمجتمع علاقة جدلية فالفرد يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ليعود فيؤثر فيه . وعند الحديث عن هذا التأثير المتبادل لا بد من اختيار نقطة بداية . فاما ان نبدأ بالحديث عن المجتمع وتأثيره في الفرد واما أن نبدأ بالفرد وكيف يؤثر في المجتمع . وقد اخترنا أن نبدأ بالفرد اعتقادا منا بأن الانتقال من البسيط الى المركب اسهل ادراكا من الانتقال من المركب الى البسيط. فاذا كنا قد قلنا ان البداية هي سؤال كل منا « كيف احقق لنفسي حياة افضل ماديا ومعنويا » فان هذا لا ينفي أن مضمون الحياة التي يريد ان يغيرها ومضمون الحياة الافضل ماديا او معنويا التي يريد ان يحققها متأثران بمجتمعه قبل ان يطرح على نفسه السؤال .

## سؤال ( ٦ )

اليس قبول تحديد المجتمع على اساس الدولة اكثر واقعية من البحث عما يقال انه « الحقيقة الموضوعية للمجتمع » مع ملاحظة ان اكثر واقعية لا يعني قبول الامر الواقع . او بمعنى اوضح اليس اكثر واقعية ان يناضل الاشتراكيون في كل بلد عربي حتى اذا ما استولوا على السلطة واقاموا الاشتراكية استطاعوا الالتحام في دولة واحدة لانعدام التناقض بينهم . اليس هذا اكثر واقعية من الوحدة بين دول مختلفة النظم الاجتماعية ؟

## جواب ( ٦ )

لنبدأ الاجابة من آخر السؤال لنستبعد على الفور تصور ان تقوم الوحدة بين دول مختلفة النظم الاجتماعية . ان هذه الصورة قد تتحقق في النظام الكونفدرالي وهو نظام لا يتفق مع الاسس القومية للوحدة. اما في دولة الوحدة فلا يمكن ان يتواجد نظامان اجتماعيان او اكثر ، مثلما في هذا مثل اية دولة واحدة في العالم . والواقع ان الحديث عن وحدة عربية بين نظم مختلفة حديث فارغ وغير قابل للتحقق ، فالوحدة لا تعني الجمع بين دولتين ونظامين او اكثر في اطار دستوري واحد ، ولكن تعني الغاء الكيان الدستوري لكل من الدولتين لاقامة كيان دستوري جديد يضم الاقليمين او الشعبين .. وطبيعي ان هذا لا يتم تلقائيا ولكن بالنشاط الثوري الايجابي الذي اقام دولة الوحدة في مواجهة الدولتين الاقليميتين . هذا النشاط الثوري الايجابي له حتما مضمون اجتماعي ( وهو عندنا اشتراكي ) هو الذي سيكون نظام الدولة الجديدة عندما تنتصر القوى الوحدوية التي تجسده وتقيم دولتها الواحدة . لهذا قلنا دائما ان الوحدة العربية لا تتم من خلال اتفاق بين الدول ولكن تتم من خلال كفاح القوى التقدمية المنظمة قوميا ، اي التي تعمل داخل كل الدول العربية بقصد الغاء الوجود المستقل لكل منها لمصلحة دولة الوحدة العربية . ذلك لان اقامة دولة الوحدة يقتضي الغاء الوجود المستقل لدولتين ( او اكثر ) في وقت واحد لاقامة دولة الوحدة بديلا عنها : فكيف يمكن تحضير الاقليمين ( او اكثر ) للوحدة في وقت واحد ومحدد ؟ لا يمكن ان يتم هذا الا

بعمل موحد طبقا لاستراتيجية واحـــدة تحت قيادة واحدة تحـــرك الجماهير في دولتين ( او اكثر ) لتقيم على انقاضهما دولة الوحدة . ذلك هو الاسلوب الواقعي والصحيح . وعلـــى ضوئه لا يكون أسلوب نضال الاشتراكيين في كل قطر ألى ان يستولوا على السلطة ثم يلتحمون في دولة الوحدة اسلوبا واقعيا الا اذا كان نضال الاشتراكيين في كـل قطر يتم في اطار وحدة تنظيمية تجمعهم وفـي نطاق الالتزام بمخطط استراتيجي واحد يستهدف ان تكون غاية النضال الاشتراكي ، ليـس الاستيلاء على السلطة في كل قطر على حدة وتطبيق الاشتراكية فيـه ، ولكن الغاء الوجود المستقل لكل قطر واقامة دولة الوحدة الاشتراكية . وطبيعي ان الالتزام الاشتراكي بتحقيق الوحدة سيكون ذا أثـــر ايجابي على تخطيط البناء الاشتراكي المقبل ، لان مصادر الانتـــاج وادواتـــه وعلاقاته ومشكلات البناء الاشتراكي في دولة الوحدة لن تكون جمعـــا حسابيا لمصادر الانتاج وادواته وعلاقاته ومشكلات البناء الاشتراكي في الاقاليم ، بل ستكون متميزة نوعيا عنها ، بحيث ان التخطيط الاشتراكي في دولة الوحدة سيكون مغايرا نوعيا لمجموع الخطط الاشتراكية فـــي الاقاليم منفصلة .

على ضوء هذا نستطيع أن نرى أن تصور الوحدة بعد نمو البنـــاء الاشتراكي في كل قطر على حدة تصور غير واقعي لاسباب كثيرة منهـــا ما يتصل بضرورة الوحدة ذاتها ، اذ عندما يستقر في أذهان الاشتراكيين والجماهير في كل قطر ان الحياة الاشتراكية الافضل قابلة للتحقق في ظل التجزئة ، فان الوحدة العربية ستفتقد المبرر الحياتي لهـــا وتكون الدعوة اليها غير واقعية . ومنها ان نمو البناء الاشتراكي على اساس التجزئة سيقيم مجتمعين منفصلين حتى لو كانا اشتراكيين . ولما كـان البناء الاشتراكي صياغة اجتماعية ايجابيـــة لامكانيات المجتمع وعلاقاته، فان تنمية هذه الصياغة على اساس التجزئة سيجعل التحامها أكثـــر صعوبة لما يقتضيه الالتحام من اعـــادة الصياغة الاجتماعية الشاملـــة لامكانيات المجتمع الموحد وعلاقاته . بحيث تصبح الدعوة لاعادة النظـــر او تعديل او الغاء ما تم بناؤه في كل من القطرين تمهيدا للوحدة بينهما دعوة صعبه القبول . ان كل ما يستطيعه الاشتراكيون الوحدويون هـــو اسقاط الاستغلال في الاقطار العربية ووضعها علـــى طريق التحـــول الاشتراكي وتحقيق ما يمكن تحقيقه من المنجزات الاشتراكية ، كل هـــذا مع مراعاة التزامهم القومي بالا يكون البناء الاشتراكي عقبة فـــي سبيل الوحدة . وهذا يقتضي الوعي ، وتوعية الجماهير على ان حياة الرخاء والحرية المتكافئة مع امكانيات امتهم العربية لـــن تتحقق الا في ظـــل الوحدة . ثم ان يخططوا للبناء الاشتراكي في اي قطر على اساس انـــه سيكون جزءا من دولة الوحدة الاشتراكية ، واخيرا ان يسرعوا باقامـــة دولة الوحدة الاشتراكية ليتم البناء الاشتراكي منذ البداية على أساسه الصحيح . أن جمهورية المانيا الديموقراطية تفعل هـــذا فـــي تخطيطها الاشتراكي فتدخل في حساباتها دائما احتمالات عودة الوحدة الالمانيه. ذلك هو الاسلوب الواقعي ، وبدونه سيرى الاشتراكيون الاقليميون مـــا بنوه منفصلا وقد عدله الاشتراكيون الوحدويون او الغوه لحساب اقامة الاشتراكية على اسس قومية ، ذلـــك لانـــه اذا كنا لا نقبل الوحـــدة الرجعية فانا لا نقبل ان نبيع دولة الوحدة بالاشتراكية الاقليمية . ثـم ان الواقع دليل الواقعية ، وقد بدا التحول الاشتراكي في أكثر من قطر عربي فهل قربت الوحدة بينها او تأخرت ؟

## سؤال ( ٧ )

لماذا كانت الدراسات القومية في الوطن العربي التي تدور حـول فكرة الوجود القومي وعلاقته بالتقدم الاشتراكي غير كافية لاقناع باقي الاشتراكيين ؟ هل لعجز هـــذه الدراسات عـــن الاقناع ام لان باقـي الاشتراكيين لا يريدون ان يقتنعوا ربما لان لهم ارتباطات غير قومية ؟

## جواب ( ٧ )

الواقع اننا نرى ان موقف الاشتراكيين غير مبرر علميا . غيـــر مبرر علميا ان نلتزم بالنضال الاشتراكي في « الاقاليم » أو « في العالم اجمع » ، ونقفز فوق الوجود القومي مع التسليم بانـــه موجود ، اذ لا احد مـــن الاشتراكيين ينكـــر الوجود القومي ( الامم ) .وقد ذكرنا اسبابا عدة لهذا الموقف منها الجمود العقائدي ، ومنها الرجعية العربية التي ترفع شعارات القومية . ولسنا نريد أن نقـــول ان الارتباطات غيـــر القومية سبب يضاف لاننا لا نريد ان نتهم احـــدا بالخيانة بدون ان تكون الادلة الحاسمة على هذه التهمة متاحة . وانما نضيف مـــا قـــد يكون سببا مؤثرا وهو ان اغلب القيادات الاشتراكية في الوطن العربي من المثقفين الذين يجزعون من متاعب النضال القومي فيهربون منه أما الى الاقليمية ومتاعب النضال فيها محدودة ، او الـــى الاممية ومتاعب النضال فيها صورية . ولكنا نعتقد ان الفشل الاقليمي سيكون المدرسة التي تعلمهم ـ بعد ان يدفعوا ثمن الفشل ـ انهم لا يستطيعون الافلات من انتمائهم القومي ، وانهم لا يختارون المتاعب على هواهم، فـلا بد لهم من ان يقبلوا مواجهة متاعب النضال التقدمي كمـــا تطرحها الظروف الموضوعية . والظروف الموضوعية في الوطن العربي تطرح متاعب ذات سمات وابعاد وعلاقات قومية أمام كل الاشتراكيين سواء ارادوا هذا ام لم يريدوه . ان هذا هو حكم التاريخ الذي صاغنا امة عربية واحدة .

## لماذا تكونت الامم :

## سؤال ( ٨ )

ان سؤالي ذو شقين :

الشق الاول : لقد كانت المجتمعات القبلية في صراع دائم فيمـــا بينها وكانت لكل قبيلة اهداف مختلفة ومتناقضة وربما كان تكوين الامم نتيجة سيطرة مجموعة من القبائل على مجموعة اخرى او غزو احـــد لشعوب اخرى فكيف يمكن القول اطلاقا بان الوجود القومي كان حـــلا تقدميا بالنسبة الى جميع المجتمعات التي تكـــون منها بدون تفرقة بيـــن المجتمعات المسيطرة والمجتمعات المقهورة ؟

الشق الثاني : ان الحديث عن الوجود القومي او الامـــة ككـــل ، وتقدمها ككل ، فيه تجاهل لدور الصراع الطبقي كحقيقة محركة للتقدم. والصراع الطبقي يفترض انقساما طبقيا يستحيل معـــه الحديث عـــن المجتمع ككل .

## جواب ( ٨ )

عن الشق الاول : ان الوقائع صحيحة او غيـــر مستبعدة . ففـــي المجتمعات السابقة على الطور القومي كان الصراع على اشده ، وكان كل مجتمع يحاول ان يفرض سيطرته على المجتمعات الاخـــرى . ويمكن ان نستنتج ان المجتمعات الاخرى كانت في اغلب الحالات تقاوم السيطـرة المفروضة عليها . ونقول اختصارا للجواب ان كل ذلك هو مـــا نسميه الاحداث التاريخية التي تكونت الامم خلالها . ثم نضيف هـــذه النقاط المتتابعة . بصرف النظر عن تقديرنا نحن للاهداف التـــي كانـــت تحرك الصراع القبلي لا بد ان كل قبيلة كانت تستهدف ، من الصراع هجوما او دفاعا ، حياة افضل لها اي انه كان صراعا اجتماعيا غايته تقدمية من وجهة نظر كل اطرافه . انتهى بسيطرة مجموعة من القبائل او شعب من الشعوب على باقي المجموعات او الشعوب الاخرى ، وكـــان ذلك حـــلا تقدميا بالنسبة للقوى المسيطرة ، وهو ما لا يمكن زعمه بالنسبة للقوى المغلوبة التي لا شك انها كانت ترفض القهر ولو خفية وتحاول الثـورة عليه واستئناف الصراع متى استطاعت . وقـــد استطاع كثير مـــن

المجتمعات القبلية ان يثور ويصبح غالبا بعد ان كان مغلوبا . واستغرق ذاك الصراع حقبة تاريخية طويلة سبقت التكوين القومي واسهمت فيه. خلال تلك الحقبة التاريخية الطويلة كان يوجد دائما طرف ثالث يظهر من حين الى حين ويفرض الهدنة والتحالف بين المتصارعين . ذلك هو العدو المشترك في شكل قبائل اخرى او شعب آخر . المهم ان ندرك انه خلال الصراع كان التفاعل الاجتماعي بين المجتمعات المتصارعة لا يتوقف وكانت تنمو بين المجموعات المتصارعة في رقعة جغرافية تتسع وتتقلص وتتحدد رويدا خصائص ومصالح مشتركة تميزها عن مجموعات اخرى . كل هذا والصراع الذي اصبح داخليا يبرز الى الامام كلما غاب الخطر الخارجي . ويصل الامر بعد تراكم الخصائص والمصالح المشتركة الى ان يصبح الصراع داخل الوحدة هو الحل التقدمي الذي يتفق مع اهداف جميع المتصارعين . اي يصبح هدف الصراع دائرا حول كيفية التعايش في اطار وجود مشترك بدلا من كيفية الخروج من هذا الوجود المشترك . وبينما يستمر الصراع على وجه لا يخفي ميراثه القبلي تكون الامة قد بدأت في التكوين ، ويدل على هذا اعادة ارجاء الصراع الداخلي في مواجهة العدو الخارجي الذي يعتبر عندئذ عدوا قوميا ، تواجهه الامة التي في طور التكوين بقوى موحدة وقيادة موحدة . وتتعلم من النصر الذي تحققه ان وحدتها القومية كانت حلا لمشكلة الامن التي يعجز عنها كل جزء منفردا . وفي ظل هذا الامن يقدم لها الوجود القومي افضل الامكانيات لتحقيق الحياة الافضل اجتماعيا ، وتقدم لها الارض المشتركة المادة الموحدة التي تشكل منها حياتها . كل هذا مع استمرار الصراع الاجتماعي ، ليس بين القبائل في هذا الطور ، ولكن بين القوى ذات الاهداف الاجتماعية المختلفة والمتناقضة ، وان كانت كل منها تعتبر ان اهدافها تمثل الحياة الافضل بالنسبة الى الامة ككل ..

من هذا ندرك الحقيقة الكامنة وراء التكوين القومي وهي عجز المجتمعات السابقة عليه عن حل مشكلاتها منفردة بصرف النظر عن اسباب هذا العجز التي لا بد ان تختلف من جماعة الى جماعة . ان مجرد كون التكوين القومي يتضمن مقدرة فرضت ذاتها كبديل عن هذا العجز يعني انها طور اكثر تقدمية من الطور السابق عليها .

الشق الثاني : لعل الاجابة عن الشق الاول ان تكون قد اوضحت ان الوجود القومي لا ينفي الصراع الاجتماعي داخل الامة . هذا الصراع الاجتماعي حقيقة غير منكورة وهو ما يسمى ايضا بالصراع الطبقي . ولسنا نرى ان في الحديث عن الامة ككل ، وتقدم الامة ككل تجاهلا للصراع الطبقي . لاننا ننطلق في موضوع الصراع الاجتماعي او الصراع الطبقي من مسلمة اولى نستطيع ان نصوغها كما يلي : ان الوحدة الموضوعية والتاثير المتبادل للمشكلات في اي مجتمع تعني ان الحل التقدمي لهذه المشكلات جميعا ، في زمان محدد ، في مجتمع محدد ، حل واحد محدد موضوعيا بصرف النظر عن مدى صحة معرفة الناس به . وينقسم الناس عادة قسمين كبيرين في موقفهم من هذا الحل الموضوعي. قسم يتبنى ويناضل من اجل تحقيق هذا الحل التقدمي الذي يكون قد عرفه من خلال ادراكه الصحيح للمشكلات الاجتماعية وتاثيرها المتبادل وحلولها العلمية .. اولئك هم التقدميون ، الذي وان كانوا قسما من المجتمع الا انهم يمثلون مصلحة المجتمع ككل . اما كيف ادركوا ادراكا صحيحا المشكلات الاجتماعية وتاثيرها المتبادل وحلولها العلمية فذلك امر قد تختلف الطرق اليه من اول البحث العلمي الى آخر تجربة الحياة وممارستها . وان كانت تجربة الحياة وممارستها تكون المدخل العريض لهذه المعرفة حيث يعي الذين يعانون مشكلات الحياة ضرورة التغيير الاجتماعي حتى تحل مشكلاتهم ، ويكون ذلك حافزا لهم على البحث عن حلول تقدمية لمشكلاتهم ، ذلك البحث الذي يكتمل لهم من خلاله عنصر المعرفة بمصالحهم المشتركة في التقدم وضرورة النضال الاجتماعي من اجل تحقيقه . في مواجهة هذه القوى التقدمية التي تتحول بالتحامها في نضال منظم الى طبقة تقوم القوى الرجعية التي تلتحم لحماية مواقعها لتكون طبقة ايضا . والرجعية قسم من المجتمع ينتمي اليه الرجعيون تحت تاثير عوامل عدة . منها الرغبة في الاستغلال ، اي استغلال قوى المجتمع الذي ينتمون اليه لمصلحتهم الخاصة . ومن هنا لا يمكن ان يقال عن هذه الشريحة المستغلة من الرجعيين انها تمثل المجتمع ككل لانها لا تستهدف تقدم المجتمع ككل ، بل انها مع معرفتها بان مصالحها الخاصة مناقضة للحل التقدمي الذي يجسد مصلحة المجتمع ككل ، تختار مصالحها الخاصة وتقف موقفا عدائيا من المجتمع . غير ان هناك شريحة اخرى تقف موقفا رجعيا ، ضد الحل التقدمي لانها تجهل حقيقة المشكلات الاجتماعية او تاثيرها المتبادل او حلولها العلمية ، فلا تتبنى الحل التقدمي ولا تناضل من اجله وقد تعوقه او تقف ضده استجابة لتصوراتها الخاطئة . موضوعيا هي رجعية بصرف النظر عن حقيقة مصالحها التي تجهل علاقتها بالتطور التقدمي وموقفها لا يمثل مصلحة المجتمع ككل بل يمثل مصلحتها هي ذاتها كما تتصورها تصورا خاطئا .

وبين التقدميين والرجعيين ، يستمر الصراع الاجتماعي في شكل قوى منظمة تحاول كل منها ان تحقق اهدافها ، اي يستمر الصراع الطبقي . ومهما تكن اسباب الرجعية فانه لا يمكن الا ان تكون الاهداف التقدمية مجسدة لمصلحة المجتمع ككل في المجتمع المعين والمرحلة التاريخية المحددة التي يدور فيها الصراع . وهي اهداف كسبت سمتها التقدمية من استجابتها للواقع الاجتماعي ككل وليس من هوى اصحابها . وهذا هو الذي يؤمن النصر للتقدميين في نهاية المطاف بالرغم من ضراوة الرجعية ، ومن هنا ثقة التقدميين بالنصر . لكل هذا فانا اذا كنا نستطيع بحق الحديث عن نشاط الرجعية من اجل مصالحها الطبقية ، فانا لا نستطيع ان نقول نفس الشيء عن نضال التقدميين الذين يمثلون - من حيث هم تقدميون - مصلحة المجتمع ككل ، حتى المصلحة الحقيقية للقوى السلبية ، او لتلك القوى التي لا تعرف كيف تحدد موقفها من الصراع الطبقي تحديدا سليما فتنحاز الى الرجعية جريا وراء مكاسب مؤقتة ، او تحت تاثيرات ميتافيزيقية بالرغم من ان مصلحتها الحقيقية في الحل التقدمي الذي تجهله او تعوقه او تعاديه.

## سؤال ( ٩ )

ان تفسير « الامية » بانها انتماء الى مجتمع انساني واحد متوقع بعد آلاف السنين تفسير غير صحيح ومخالف لمفهوم الامية التي تعني وحدة الطبقة العاملة في الوقت الحالي وفي المستقبل في مواجهة الامبريالية العالمية . فالى اي حد تكون « الامية » بهذا المفهوم الصحيح متفقة او مناقضة للدعوة القومية ؟

## جواب ( ٩ )

صحيح ان « الامية » تعني وحدة الطبقة العاملة في الوقت الحاضر وفي المستقبل في مواجهة الامبريالية العالمية . ولكن هذه مواجهة ذات غاية تتجاوز القضاء على الامبريالية الى اقامة مجتمع انساني موحد . وعلى هذا فان تحليل الموقف الاممي يسفر عن معطيات ثلاثة : الاول انه تحالف بين الطبقات العاملة ضد الامبريالية العالمية المتحالفة . وهذا الموقف مبرر بالدفاع عن النفس لان محركه الخطر المشترك الذي يجسده العدوان الامبريالي ، وهو مقبول بدون حاجة الى مبررات فكرية او فلسفية اخرى . والمعطى الثاني انه تطلع الى بناء مجتمع انساني موحد ، وهذه غاية تبعد عن عصرنا آلاف السنين ، ومع انها امنية انسانية جميلة الا انها لا تصلح محورا للالتقاء او الالتزام النضالي الذي يستهدف تغيير الواقع الى ما هو افضل منه واكثر تقدما بما يعنيه ذلك من التحام بالواقع ذاته حتى يمكن تغييره . المعطى الثالث الذي لم يشر اليه السؤال مع انه موضوع الحديث ان الامية مطروحة كموقف مناقض للقومية ، مع ان الوجود القومي واقع

معترف به ، والرابطة القومية حقيقة تشد الناس ولا يمكن تجاهلها . والأممية هنا « مثالية » من حيث انها تتجاهل الواقع الموضوعي وتحاول ان تصوغ علاقات نضالية تقفز من فوقه ، ولا شك في ان الزعم بان مصالح الطبقة العاملة في العالم كله واحدة زعم غير صحيح . انه يفترض المساواة بين الامم من حيث التحرر والتقدم الاقتصادي . وهذه فرضية غير صحيحة . ان العاملين في كل الامم يكافحون ضد الطبقات المستغلة بقصد استرداد مصادر الانتاج وادواته من ايديهم وتحويلها الى ملكية اجتماعية يكون لكل عامل فيها نصيب متكافىء مع ما يعمل . ولكن وراء هذا حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها ، هي ان مصادر الانتاج وادواته وكل الثروات التي يراد اعادة توزيعها توزيعا عادلا في بعض الامم المتقدمة هي في الاصل ثروة مغتصبة بالاستعمار من امم اخرى . ان هذا هو المبرر الرئيسي لما نلاحظه من ان المستوى المعيشي الذي يثور العمال في احدى الدول لانه اقل مما يستحقون ، هو ذاته يتجاوز بمراحل احلام العاملين في امم اخرى . تلك هي الحقيقة التي افزعت « جيفارا » فثار ثورته العميقة ضد استغلال « المجتمعات المتقدمة » للمجتمعات المتخلفة بدون تفرقة بين اشتراكيين وغير اشتراكيين . ان هذا يعني فيما يهمنا ان التراث التاريخي الذي جعل مصلحة العاملين في كل امة محددة بمشكلات التقدم كما تطرحها ظروف الامة التي ينتمون اليها وليس بالمستوى العالمي لمعيشة العاملين ، يحول دون الادعاء بوحدة المصلحة بين العمال في جميع انحاء الارض الى درجة تجعل من الانتماء الى « العمل » بديلا عن الانتماء الى الامة . غير ان هذا ذاته لا يعني ان ليس بين العاملين في كل الامم مصلحة مشتركة كتلك التي اشرنا اليها وهي اسقاط الامبريالية العالمية المتحالفة . ان تلك مصلحة تفرض عليهم ان يتحالفوا ضد عدوهم المشترك . كما ان للعاملين في بعض الامم مصالح مشتركة قد لا تكون عالمية ، كمصلحة العاملين في المجتمعات المستعمرة في ان تتحرر مجتمعاتهم . وهكذا نرى انه انطلاقا من ان القومية هي الرابطة الاصل ، يخوض العاملون التقدميون في كل امة معاركهم الداخلية ضد الاستغلال ، ويشاركون مع العاملين في امم اخرى معاركهم ضد العدو الامبريالي المشترك دون ان يفقد اي منهم هويته القومية .

## النظرة القومية :

### سؤال ( ١٠ )

أ ـ اذا كانت الاقليمية رجعية فاشلة كما سمعنا فكيف يمكن تفسير الانجازات التحررية التي حققتها الدول العربية المتحررة بالرغم من انها اقليمية ؟

ب ـ وما الراي في فشل دولة الوحدة التي قامت في سنة ١٩٥٨ حتى في المحافظة على وجودها ؟

### جواب ( ١٠ )

أ ـ عن التحرر :

ان القاعدة التي ذكرناها هي ان فشل الاقليمية لا يعني ان كل دولة اقليمية عاجزة تماما عن ان تحقق نجاحات محدودة بما تستطيع ولكن يعني تماما ان ما تحققه اقل بكثير مما كان يتحقق للشعب فيها في ظل دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية حيث يكون مدى التقدم ومعدله متكافئين لا مع مقدرتها الذاتية ولكن مع الامكانيات العربية المتاحة وهي بالغة الوفرة .

ومع ذلك فلننظر الى المنجزات التي حققتها بعض الدول العربية وعلى المستوى الذي يختاره الاقليميون عادة للجمجمة ، وهو مستوى التحرر ، الذي يظنون ان قد وصلوا اليه في ظل الاقليمية بجلاء الجيوش المحتلة . انا نخطىء خطأ ساذجا اذا اعتقدنا ان جلاء الجيوش الاجنبية او اجلاءها يعني التحرر تلقائيا . ان عصر الاستعمار بالبطش الظاهر ينحسر عالميا ، وتسحب الدول الاستعمارية قواتها من مناطق عديدة لمجرد توفير نفقاتها . وهي لا تفعل هذا متخلية عن مصالحها ولكن حافظة لتلك المصالح باساليب اخرى اقل تكلفة واستفزازا من الجيوش المقاتلة . ولا شك في ان بعض الدول العربية قد استفادت من ذلك التحول التاريخي فجلت عنها الجيوش ، واتاحت لها الفرصة لرفع اعلام الاستقلال ودق طبوله والحصول على مقعد مريح في هيئة الامم المتحدة . غير ان التجربة لم تلبث ان اثبتت لنا ان الاستعمار الجديد ، الخفي ، الاقتصادي والثقافي ، ليس اقل ضراوة وتخريبا من الاستعمار المسلح السافر . ذلك لان التحرر من الاستعمار ليس منتهى غايات الشعوب بل هو بدايتها . فبرفع السيطرة الاجنبية عن الوطن وامكانياته المادية والبشرية ، يبدأ المستقلون في تحمل مسؤولية بناء الحياة التقدمية الافضل التي هي المعادل الحقيقي لتضحيات معارك التحرير . ولن يتحقق لهم هذا الا بامور ثلاثة : اولها ـ الامن ، اي حشد كل الامكانيات والجهود والقوى وتخطيط استخدامها من اجل بناء حياة افضل للجماهير التي قاست طويلا في ظل الاحتلال الاجنبي ، بدون خوف من عودة السيطرة الاجنبية ، او بدون حاجة الى اقتطاع نسبة عالية من الامكانيات المحدودة للرد ، او ردع ، محاولات احتلال اخرى . ولا نريد ان نشير الى امثلة متعددة بل يكفي ان نقول ان اكثر الدول العربية جدية في رغبة التقدم الاقتصادي لم تترك سنة واحدة متصلة بدون تهديدات ، او اغارات ، او حصار ، او حرب ، وان قدرا متفوقا من طاقاتها كان وما يزال مسخرا من اجل دفع او رد محاولات الاعتداء على استقلالها بالرغم من انها كسبت معركة الجلاء . معركة التحرر اذن لم تنته لان الامن الكافي للتفرغ لبناء الحياة الحرة لم يتحقق . وانها لماساة حقا ان تكون حياة الجماهير تضحيات متصلة بلا نهاية معروفة ، تضحي من اجل الاستقلال ثم تستمر في التضحية في معارك الحفاظ على الاستقلال بدون انقطاع يسمح لها بان تجني ثمار هذا الاستقلال . ان هذا الامن اللازم لبناء الحياة غير قابل للتحقق الا في داخل الوحدة العربية القادرة على تصفية العدوان مرة واحدة والى الابد ، وفرض احترام حريتها على كل مغامر ، وتجنيب احتياطي للدفاع يكفي للردع ولا يؤثر على المقدرة على الانتاج ، ثم التفرغ بالقدر الاكبر من امكانياتها لعملية بناء الحياة الافضل . اي ان الاقليمية التي قد تستطيع ان تكسب معركة جلاء الجيوش الاجنبية عن ارضها تجد نفسها فاشلة في وضع حد نهائي لمحاولات العدوان وتوفير الامن اللازم لتفرغها لبناء الحياة . فهي ـ في جملة قصيرة ـ عاجزة عن النصر النهائي في معركة التحرر . الامر الثاني ـ الذي لا يتم النصر في معركة التحرر بدونه هو هزيمة وتصفية الاستعمار الجديد . وجوهر الاستعمار الجديد هو التبعية الاقتصادية للدولة المسيطرة . ان الدول العربية تنتمي الى العالم الثالث . فهي دول متخلفة اقتصاديا او نامية . وهي في حاجة ملحة الى ان تضاعف مقدرتها الانتاجية بمعدل من السرعة يعوض سنوات التخلف . وفي هذا تحتاج ـ بالاضافة الى الجدية في العمل ـ الى اكبر قدر من معدات وخبرات الدول المتقدمة . وهي اما ان تكون قادرة على دفع ثمنها الاحتكاري الفادح لكي تحصل عليها بدون شروط او تبعية ، واما ان تدفع من ثمنها ما تستطيع ثم توفى باقي الثمن قولا لشروط صريحة او ضمنية ، معلنة او خفية ، تضعها موضع التابع للدولة البائعة المعدات الشاربة الحرية . وتلك هي النافذة التي يعود منها الاستعمار الجديد بعد ان كانت جيوش الاستعمار القديم قد غادرت من ابواب الموانىء . ولقد وقعت بعض البلاد العربية ـ الخالية من الجيوش الاجنبية ـ في براثن الاستعمار الجديد ، وباعت الاستقلال الذي دفعت ثمنه من دماء الشهداء بالارتباطات المالية والاقتصادية التي فرضتها عليها الدول الاستعمارية . فهل تحررت ام خانت الحرية ؟ لم تتحرر ولم تخن بل فشلت في تحقيق النصر النهائي في معركة التحرر . ولن تستطيع ان تحققه الا في ظل دولة الوحدة ، القادرة بمواردها الوفيرة على ان تشتري من المعدات والخبرات ما تحتاجه للتقدم

الاقتصادي ، بثمنه الفادح ، بدون ان نبيع حريتها . وعندما نرى مستوى الحياة في كثير من البلاد العربية التي جلت عنها الجيوش الاجنبية مترديا ، أو متوقفا ، او يحبو مثقلا بالديون والالتزامات الخارجية ، فيجب ان ندرك أن الاقليمية التي قد تتقدم حبوا ، فاشلة في التقدم وثبا ، لان التقدم وثبا لا يتحقق لها الا بالامكانيات العربية التي ترفع عنها اثقالها ، ثم تكفي ، واكثر ، للتنمية الاقتصادية في الوطن العربي كله ، بعيدا عن شرك الاستعمار الجديد الذي يختفي وراء الاموال ، والمعدات ، والخبرات ، والمعونات . الامر الثالث ـ الذي لا يكتمل النصر في معركة التحرر الا به هو أن تشعر الجماهير التي اذلها الاستعمار سنين طويلة بان قيودها قد تحطمت يوم ان استقلت، وانها تعيش في بلادها المتحررة حياة حرة لا ذل فيها ولا خوف ولا قهر ولا استبداد . فهل تحطمت قيود الجماهير العربية بعد الجلاء ورفع اعلام الاستقلال ودق طبوله ؟ ـ أن الرجعية لا تزال تفرض عليها القهر الاقتصادي وتذلها قبل ان تسمح لها بالحصول على لقمة العيش التي تحفظ الحياة من الموت . وتقبض على الناس من امعائهم حتى يركعوا لها او يسجدوا أو يموتوا جوعا . والجماهير العربية تتفرج على نظم العبودية والاقطاع في القرن العشرين ، ويحتمي الظالمون من غضبتها ، وثوربها ، وراء حق الدول المستقلة في ان يتدخل احد في شؤونها الداخلية ، والتزام الدول « المستقلة » بالا تتدخل في شؤون غيرها . ثم ما بين وعود الحرية والرخاء والتقدم تبذل للجماهير يرعونه غير معقولة ، وبين عجز الدول الاقليمية فعليا عن تقديم امكانيات تحقيق الوعود المبذولة ، انزلقت بعض الحكومات العربية الى الدكتاتورية المستبدة تفرض بها على الجماهير الصمت والصبر والمذلة لتغطي فشلها الذي لا مفر منه ما دامت تعد بما هي غير قادرة على تحقيقه في ظل الاقليمية . فهل كسبت الجماهير النصر النهائي في معركة التحرر ؟ انها لن تكسبه الا في دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية التي أن تعد فهي قادرة على الوفاء بوعدها فهي لا تخشى الجماهير وهي غير حاجة الى أن تفرض عليها الصمت والصبر والمذلة .

ثم ، أخي ، أليس من المغالطة ان نتحدث عن الانجازات التحررية في ظل الاحتلال الصهيوني ؟

ب ـ عن وحدة ١٩٥٨ :

بقي الجانب الاستفزازي من السؤال الذي يقول : « ما الرأي في فشل دولة الوحدة التي قامت سنة ١٩٥٨ حتى في المحافظة على وجودها » . ومصدر الاستفزاز فيه انه يوحي بأن الوحدة التي قامت بين سورية ومصر سنة ١٩٥٨ قد فشلت في كل مجال « حتى » في المحافظة على وجودها . ولسنا نريد ان نستجيب للاستفزاز فنعدد مكاسب الشعب العربي في ظل ثلاث سنوات من الوحدة . بل نتجاوزه الى الجانب البناء من السؤال وهو الخاص بالفشل في المحافظة على وجود دولة الوحدة . ذلك لان وحدة ١٩٥٨ لم ينصفها كثير من اصدقائها وكل اعدائها .

لقد قامت دولة الوحدة سنة ١٩٥٨ بين مصر وسورية تجسيدا لرغبة شعبية عربية عارمة لا شك فيها . ثم وقع الانفصال سنة ١٩٦١ بدعم وتأييد وتخطيط القوى الاستعمارية والصهيونية . لم يعد هذا محل شك ايضا خاصة بعد ان انكشفت كثير من المخططات العدوانية التي مهدت لحرب ١٩٦٧ . ولم يعد اعداؤنا انفسهم ينكرون انهم بدأوا الاعداد للحرب والتدريب على خططها منذ ان قامت الوحدة ، وان الانفصال كان الخطوة الاولى في تنفيذ تلك المخططات . وهذا بشطريه يدل على ان الوحدة كانت خطوة تقدمية مستجيبة لآمال الجماهير العربية من ناحية ومضادة للمصالح الاستعمارية والصهيونية من ناحية اخرى . أي أنها بمقياس تحرري تقدمي كانت خطوة الى الامام . وان الانفصال كان ردة رجعية . ان هذا لا ينفي انه اذا كانت الجماهير العربية قد انتصرت في سنة ١٩٥٨ فقامت دولة الوحدة ، فان هذه الجماهير ذاتها قد انهزمت في سنة ١٩٦١ ففقدت الوحدة الوليدة . كل هذا صحيح . انما الخطأ الجسيم ان كان بحسن نية ، أو التخريب المجرم ان كان متعمداً ، هو القول بانه ما دامت الجماهير العربية قد انهزمت في سنة ١٩٦١ فان وحدتها سنة ١٩٥٨ كانت خاطئة : أن هذا حكم ببراءة القوى الامبريالية والصهيونية والانفصالية العميلة من جريمة التآمر والعدوان على الامة العربية . وهي دعوة انهزامية الى التنازل عن اهدافنا حتى لا ننهزم . وقياسا عليه يصح قول الانهزاميين والخونة من انه ما دمنا قد انهزمنا ثلاث مرات من اسرائيل فان رفضنا الوجود الاسرائيلي خاطيء . لقد تردت مجموعات من اكثر المثقفين العرب ادعاء للعلمية وللتحررية وللتقدمية ، بل وللقومية ايضا ، في هذا الخطأ الجسيم يوم أن راحت بعد الانفصال تحاكم وتدين وحدة ١٩٥٨ بدلا من ادانة الامبريالية والصهيونية . ان هذا الموقف الخاطيء خطأ جسيم قابل للتكرار في كل جولة لا ننتصر فيها من معاركنا الطويلة ، ولن تكون كل جولات معاركنا انتصارا وان كان حتما علينا ان ننتصر في النهاية .

في أطار هذا الادراك لمعركة وحدة ١٩٥٨ ، التي حققت فيها الامة العربيه اروع انتصار في تاريخها المعاصر ، ومنيت فيها ايضا بأفدح هزيمة ، لا ننكر بأن وقوع الانفصال واستمراره دليل غير قابل للنقض على ان القوى التي نصدت لحمل مسؤولية الدفاع عن وجود دولة الوحدة قد فشلت في الوفاء بمسؤولياتها . ولقد قيلت عشرات التبريرات لذلك الفشل منها ما وصل الى حد المهاترات الرخيصة . ونحن لا نعيدها ولا نرد عليها . انما نقصر الحديث على ثلاثة اسباب اساسية نعتقد انها مجتمعة قد كانت وراء الفشل في الحفاظ على دولة الوحدة من حيث أنها سهلت للقوى المعادية انجاز غايتها المجرمة :

الاول : ان وحدة سنة ١٩٥٨ قامت واستمرت حتى انقضت وحدة « انفصالية » ، اي معدة وجاهزة موضوعيا للانفصال . فقد تمت وحدة الرئاسة ، ووحدة الحكومة ، ووحدة مجلس الامة ، اي تناولت الوحدة الاطار السياسي ، ثم بقي الاقليمان منفصلين جماهيريا ( في كل منها تنظيم سياسي مستقل وتنظيمات مهنية ونقابية مستقلة ) واقتصاديا ( لكل منهما مصادر انتاج مستقلة ، وخطة اقتصادية مستقلة ، وذمة مالية مستقلة ، ونقد مستقل ، وميزان تجاري مستقل، وميزان مدفوعات مستقل ، ومخصصات للخدمات مستقلة ، وجهاز اداري مستقل ) وعسكريا ( لكل منهما جيش مستقل من ابنائه خاصة ) ودوليا ( لكل منهما علاقات ، واتفاقات ، تجارية خارجية مستقلة ) ... الخ . لقد قيل قبيل الوحدة واثناءها ،وبعد الانفصال ، ان القوى الوحدوية قد استعجلت الامور وقفزت الى طموح غير واقعي لانها اختارت الوحدة . وان الاتحاد كان افضل من الوحدة . قال هذا نفس اولئك الذين عرفنا من قبل انهم اكثر الناس ادعاء للعلمية وللتقدمية وللقومية أيضا . وفي العراق اريقت الدماء في معارك بين انصار « الوحدة » ودعاة « الاتحاد » وكانت « وحدة » ١٩٥٨ نموذج القياس في اذهان الطرفين. وقد تجاهل دعاة الاتحاد ، الرافضون لوحدة ١٩٥٨ بحجة انها التحام كامل لا تطيقه الظروف الاقليمية ، ان وحدة ١٩٥٨ لم تكن « وحدة » ولا كانت « اتحاداً » . كانت شيئا يشبه ـ وان كان اقل التحاما ـ الاتحاد الكونفدرالي . كانت اشتراكا في حكومة مختلطة بين دولتين مستقلتين جماهيريا واقتصاديا وماليا وتجاريا وعسكريا . ولم يكن ذلك الوضع قابلا للحياة طويلا فاما وحدة حقيقية واما انفصال . وبينما قنعت القوى المسؤولة عن الحفاظ على الوحدة بالخطوة الشكلية التي تحققت ولم تنشط في تصفية آثار التجزئة وملء الاطار السياسي الموحد بمحتوى اقتصادي واجتماعي وعسكري واحد ، نشطت القوى الامبريالية والصهيونية وعملاؤها الانفصاليون للقضاء على الوحدة وهي في اضعف اشكالها . وهكذا لم يتطلب انفصال اقليم من دولة اكثر من بيان في الاذاعة ، وهو ما لا مثيل له في التاريخ . ولم يواجه الانفصاليون اية متاعب ، من أي نوع ، فبمجرد اعلان الانفصال وجدوا بين أيديهم دولة مجهزة ومعدة للانفصال .

لماذا ؟ لان الاقليمية الخائفة على مصالحها الخاصة ، الداعية الى الوحدة كطريق الى مكاسب جديدة تضاف الى مكاسبها في اقاليمها ، اذعنت لوحدة الاطار السياسي ولكنها حالت دون الالتحام الجماهيري والاقتصادي والعسكري حتى لا تفقد مواقعها القيادية او مصالحها السياسية او سيطرتها العسكرية . فهل فشلت دولة الوحدة ام خربتها الاقليمية .؟

الثاني : ان وحدة ١٩٥٨ لم تكن تجسد آمال الجماهير العربية ، وتشكل خطوة تقدمية لمجرد انها وحدة بين مصر وسورية ، بل لانها دولة الوحدة النواة ، التي قامت على انقاض دولتي مصر وسورية . ودولة الوحدة « النواة » لا تتميز بعدد الاقاليم التي تقوم عليها ، ولكن بانها قاعدة الثوريين العرب ومنطلقهم الى تصفية الاقليمية واقامة دولة الوحدة العربية الشاملة . وهي لا تكون كذلك الا برفض التجزئة وعدم التردد ، او التوقف عن استرداد مزيد من الارض العربية الى ان تنمو الدولة النواة وتصبح دولة الوحدة . فان توقفت وارتضت حدودها الجديدة فقد انقلبت الى دولة اقليمية وان كانت قائمة على رقعة أوسع من ذي قبل من الوطن العربي ، وان كانت تضم قطرين او اكثر ـ وقد توقفت وحدة ١٩٥٨ عند حدود الاقليمين ، او تقول تجمدت ، فتحولت الى دولة اقليمية كبيرة . ولما كانت الاقليمية فاشلة ولو تجسدت في دولة كبيرة فقد فشلت في الحفاظ على وجودها .

من الذي فشل ؟ ليس دولة الوحدة العربية النواة التي هتفت لها الجماهير العربية سنة ١٩٥٨ ، بل الدولة الاقليمية التي كانت قائمة على اقليمي سورية ومصر سنة ١٩٦١ . اما لماذا فشلت ، اي لماذا انقلبت دولة اقليمية ، فلان القوى الاقليمية الخائفة على مصالحها الخاصة ، التي تدعو الى الوحدة من منطلق اقليمي باعتبار ان قد تحمل اليها الوحدة مجالات اكثر اتساعا للاستغلال كانت حريصة في تجربتها الوحدوية الاولى على ان تنتظر حتى تستوثق مما اذا كانت التجربة قد حققت لها مكاسب تغري بمزيد من الوحدة ، أو لم تحقق .

الثالث : هو ان وحدة ١٩٥٨ قامت بتأييد عارم لا شك فيه من جانب الجماهير العربية في كافة أنحاء الوطن العربي ولكن في غيبة التنظيم القومي الثوري الذي يضع طلائع تلك الجماهير ، ويقودها ، فيحقق الوحدة بفونها على وجه يجسد قوميتها شكلا ومضمونا ، ويبقى على الوحدة نواة لدولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية التي يستهدفها ، ويدافع عن الوحدة حتى الموت كما يدافع الثوار عن قواعدهم .

ان هذا السبب اولى بانتباه الشباب العربي لانه كامن وراء السببين الاولين وان كان اكثر منهما شمولا . اما انه كامن وراء السببين الاولين فذلك لان وجود التنظيم القومي الثوري كان كفيلا بسحق الاقليمية التي أبقت وحدة ١٩٥٨ معدة للانفصال حتى انفصلت وحولت دولة الوحدة النواة الى دولة اقليمية ففشلت . اما انه اكثر منهما شمولا فذلك لانه كامن وراء كل الهزائم التي اصابت الامة العربية حتى هزيمة ١٩٦٧ ، وسيكون كامنا وراء أية هزيمة تصيب الامة العربية حتى في ساحة « المقاومة » . الى ان يقوم التنظيم القومي الثوري ويتولى مسؤوليه قيادة الجماهير العربية ضد اعدائها ، في كل الساحات ، على الطريق الى دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية .

لا شك في هذا ابدا .

ومن هنا ندرك انه حتى لو لم تكن المقاومة الا أفضل المداخل المتاحة لبناء التنظيم القومي ، وحتى لو لم يستطع ابطال المقاومة الا ان يساهموا ،ويسهلوا ، مولد التنظيم القومي ،فقد حققت المقاومة وحقق ابطال المقاومة الشيء الجوهري الذي تفتقده امتهم العربية ، ووضعوا قدمها على أول طريق النصر ، وانعطفوا بالتاريخ العربي انعطافة جديدة ظافرة لا شك في انها ستؤثر تأثيرا عميقا في اتجاه التاريخ البشري المعاصر .

## حقيقة الموقف :

### سؤال ( ١١ )

تقول ان الغزو الصهيوني قد وقع بتأييد من الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، أفليس اكثر مطابقة للحقيقة ان نقول ان هناك غزوا امبرياليا للوطن العربي يستعمل الصهاينة أداة له في تحقيق أغراضه على اساس ان اسرائيل ليست الا اداة تابعة ، وقاعدة ، للامبريالية . اني ارى ان هذا التحديد يساعدنا على فهم عدونا الاساسي في معركة تحرير فلسطين .

### جواب ( ١١ )

ان اسرائيل ، والحركة الصهيونية ، حليفة للامبريالية العالمية وليست اداة لها . ان كلا منهما ذو استقلال فكري وتنظيمي وحركي ، ولكل منهما استراتيجيته الخاصة . الحركة الصهيونية حركة عنصرية رجعية نشأت في وسط اوروبا ، ثم تحالفت مع الاستعمار البريطاني ، ثم نقلت تحالفها الى الولايات المتحدة الامريكية ، تبعا لانتقال مركز القوة الدولي ، بقصد تحقيق غايتها الخاصة وهي اقامة دولة يهودية من الفرات الى النيل . فهي حركة غزو استيطاني يستهدف أرضا محددة. اما الامبريالية العالمية فهي تحالف رأسمالي تقوده الولايات المتحدة الامريكية حاليا غايته فرض سيطرته المالية والاقتصادية على امكانيات العالم ونهب ثروات الامم ، أو تسخيرها لما يتفق مع تحقيق مزيد من الرخاء والقوة في الدول الاستعمارية . وبالرغم من الاختلاف في مضمون العدوان ، ومدى شمول الاستراتيجية العدوانية ، في كل من الحركة الصهيونية والامبريالية العالمية ، الا انهما حليفتان متفقتان فيما يتعلق بالوطن العربي على وجه التحديد . الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تستهدف ابقاء العالم العربي في حالة تخلف وتبعية اقتصادية فتحول بكل قوة دون وحدته . ويحقق لها هذا ويضمنه عزل المشرق العربي عن المغرب العربي بكيان غير عربي . والصهيونية تستهدف اقامة الدولة اليهودية في ذات المكان الذي يعزل المشرق العربي عن المغرب العربي ويجعل وحدته اكثر صعوبة . فمع اختلاف المبررات اصبح الوجود الاسرائيلي في قلب الوطن العربي يحقق لكل من العدوين غايته فتحالفا . والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تستهدف استنزاف الامكانيات العربية في حروب دفاعية والاعداد العسكري لها وهو اقتطاع من قواها المنتجة لتبقى متخلفة ـ بينما تدبر الصهيونية منذ عشرات السنين الحروب العدوانية ضد الامة العربية لتستولي على الارض التي تريد ان تقيم عليها الدولة اليهودية . فمع أختلاف المبررات اصبح العدوان الاسرائيلي المتجدد على الامة العربية يحقق لكل من العدوين غايته فتحالفا . والتحالف يعني التعاون وتبادل الخدمات في اطار الاهداف المشتركة .ان هذا قد يبدو غير ذي قيمة عملية ما دمنا نواجه الامبريالية والصهيونية معا . ولكننا نعتقد انه ذو قيم عملية خطيرة . اولها ان الاعتقاد بانالصهيونيةاداة للامبريالية قد يؤدي الى الأعتقاد الخاطيء بان مساومة الولايات المتحدة الامريكية سيؤدي الى ان تسحب قاعدتها الصهيونية من فلسطين وتكف عنا اداتها اسرائيل . وهو وهم عشنا فيه ردحا من الزمان يوم ان كنا نفاوض انجلترا لتكف عنا الحركة الصهيونية ظنا بانها أداتها . ثم ان هذا الاعتقاد قد يؤدي الى تغطية الاغتصاب الصهيوني للارض العربية لو انقطعت صلة اسرائيل الدولة بالولايات المتحدة الامريكية عن طريق تولي الاتجاهات التي يقال لها يسارية سلطة الحكم في اسرائيل . وهو وهم يداعب خيال كثير ممن يسمون انفسهم تقدميين في الوطن العربي او خارج الوطن العربي . ومهما تكن ضآلة فرصة تولي بعض العناصر من ادعياء التقدمية في اسرائيل للحكم ، فان موقفنا يجب ان يكون محددا من الآن باننا لا نقبل اقتطاع جزء من وطننا العربي ولو سكنته الملائكة . ان رفضنا للوجود الاسرائيلي قائم على حقنا في فلسطين ولا يتأثر حقنا

هذا بنوع النظـام الاجتمـاعي فـي مجتمع الفاصبيـن ولا بسياساتهم الداخلية او الدولية . ثاني اوجه الخطورة في تجاهل الاستقلال داخل التحالف الامبريالي الصهيوني ان الاعتقاد المضاد بـان الامبريالية اداة مسخرة للصهيونية يخفي عنا الدور الايجابي ، ذي الغايـات البعيدة ، للعدوان الامبريالي الذي يتم ـ مرحليا ـ فـي اطار تحالفها مـع الصهيونية . ثم انه يؤدي الى نتيجة مفزعة هـي الاعتقاد بان هزيمة الصهيونية وتحرير فلسطين سيكون نهايـة معاركنا ضد الامبرياليـة باعتبار ان الامبريالية لم تدخل المعركة ضدنـا الا كاداة للصهيونية . وهذا وهم ضيق الافق . ان معاركنا ضد الامبريالية بقيادة الولايـات المتحدة الامريكية ستستمر وستكون اكثر ضراوة عندما نواجهها مباشرة بعد ان نكون قد صفينا الوجود الاسرائيلي في فلسطين .

لهذا ، فنحن امام عدوين متحالفين ، ولسنا امام عدو واحد يتخذ من الاخر مجرد اداة له غير ذات اغراض عدوانية خاصة .

## سؤال ( ١٢ )

ما المقصود على وجه التحديد من القول بـان الغزو الصهيوني موجه الى الوطن العربي بدلا من القول بانه موجه ضد الدول العربيـة عامة ، او بمعنى اصح ضد الدول العربية التقدمية .

## جواب ( ١٢ )

المقصود الكشف عن حقيقة هي ان الغزو الصهيوني موجه الـى الوطن العربي وليس الى الدول العربية او اي دولة عربية بالذات . اذ الواقع انه عندما رسم الصهاينة حدود الارض التـي يريدون غزوها والاستيطان فيها واقامة الدولة اليهودية عليها لم تكن هناك ايـة دولة عربية فقد كان الوطن العربي كله تحت السيطرة التركية . ثم انه لما ان خطط الاستعمار الغربي حدود الدول العربية القائمة حاليا ، لم تغير الصهيونية مخططاتها مراعاة لاية دولة ناشئة . اما عـن استهدافها الدول العربية المسماة تقدمية فانه غير صحيح ايضا . فان الصهيونية غزت الارض العربية في ظل الاحتلال البريطاني ، وتوسعت سنة ١٩٤٨ بينما كانت الدول العربية تابعة للاستعمار تحكمها الرجعية ، واستولت على خليج العقبة سنة ١٩٥٦ في معركة مع مصر المتحررة التي لم تتحول اشتراكيا ، ثم اضافت ارضا جديدة سنة ١٩٦٧ مقتطعـة مـن ثلاث دول مختلفة من حيث نظام الحكم او النظام الاجتماعي . ذلك هـو المخطط الصهيوني التوسعي .

وهذا لا ينفي انه عندما وجهت الصهيونية ضربتها الاولى الى الامة العربية كانت الضربة غزوا لبعض ارض فلسطين ، وانهـا كلما توسعت اصابت ضرباتها دولة او اكثر من الدول العربية ، لان الواقع الفعلي ان الوطن العربي الذي تحاول الصهيونية الاستيلاء على جزء منه مقسم بين الدول العربية . كما لا ينفي ايضا ان الصهيونية عندما تؤقت وتختـار معاركها التوسعية المرحلية تستهدف تحقيق امرين معـا . الامر الاول الاستيلاء على مزيد من الارض . الامر الثاني ضرب اية قوة او اي اتجاه نام قوميا او تقدميا قبل ان تكتمل له المقدرة على حماية نفسه ضـد مراحل التوسع المقبلة او قبل ان تكتمل له المقدرة على توجيه ضربـة مضادة . ولا شك في ان الاتجاهات التقدمية القومية في بعض البـلاد العربية تمثل خطرا مقبلا على مخطط التوسع الصهيوني . كما لا شك في ان دخول الجماهير العربية غير المنتمية سياسيا الى ايـة دولـة عربية يمثل اتجاها بالغ الخطورة على الوجود الاسرائيلي ذاته . ومـن هنا كانت الضربات الاسرائيلية توجه الى هذه القوى الناميـة لتامين مقدرة اسرائيل على مزيد من التوسع . ويمكننا ان نضيف الى هـذا عاملا لا شك في اهميته ، وهو انه انطلاقا من معرفة الحركة الصهيونية انها كانت دائما ، وما تزال ، وستظل عاجزة عن تحقيق اغراضها منفردة وبقوتها الذاتية ، فان استراتيجيتها قائمة على اساس التحالف المستمر مع مركز القوة العالمية الذي كان المانيا الامبراطورية فتحالفت معها ، ثم انجلترا فتحالفت معها ، ثم الولايات المتحدة الامريكية فتحالفت معها . والتحالف يتضمن تبادل الخدمات والمساعدات . ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت مصر عدوا صلبا للاستعمار الامريكي ، لانها لم تقبل عودة النفوذ الامريكي الى الشرق العربي بديلا عن النفوذ البريطاني الذي ساعدت امريكا على هزيمته في سنة ١٩٥٦ لتحل محله . وقد حاولت الولايات المتحدة ان تحل محل بريطانيا بكل الطرق ، من اول المساعدات الاقتصادية الى آخر الحصار الاقتصادي . وعندما تحققت الوحدة بين مصر وسورية سنـة ١٩٥٨ تاكدت الولايات المتحدة الامريكية بان طريقها الى الشرق العربي لا يمكـن ان يقوم الا على انقاض الاتجاه القومي الذي يـدفـع الدول العربيـة الى غايـة تبدو حتمية هي قيـام الوحدة الشاملة . حينئذ بدأ التخطيط الاميركي لضرب هذا الاتجاه وتصفيته ، واتخذ التخطيط هدفـا لـه عزل الجمهوريـة العربيـة المتحدة عـن العالم العربي وعن قضاياه . فكـان الانفصال خطوة اولى ، ثم التهديدات المستمرة للاقليـم الشمالي ، ثم تحرك القـوات مـن الاقليم الجنوبي تعبيـرا عن موقف التاييـد لسلامة الاقليم الشمالي ، واذا بهـا تواجه خططا هجوميـة جاهزة منذ زمـن بعيد لتصفيـة قواتهـا العسكرية بمجرد استدراجها الى الحدود . ثم وقعت المعركـة التي استهدفت الصهيونية من ورائها ارضـا جديدة كجزء مـن خطتهـا التوسعية ، واستهدفت الولايـات المتحدة الاميركيـة من ورائهـا تصفيـة انفتاح مصر على العالم العربي. وان كنـت تشك في هـذا فلعلك قـد سمعت ان الولايات المتحـدة الاميركيـة عرضت ، ولم تسحب عرضهـا ،بـان تعيـد سيناء الـى الجمهوريـة العربيـة المتحدة في نظيـر امر واحـد هـو ان تنفض الجمهوريـة العربية يدهـا من القضايا العربيـة .

اذن فالغزو الصهيوني يستهدف اصلا الوطـن العربي ، بدون توقف على وجـود او عدم وجـود الدول العربية ، او على حدودها ، ونظـم الحكم فيهـا ، او مـا اذا كـانت تقدميـة او رجعية . اما شق الطريق الـى هذا الهدف فيصطدم بالدول القائمة على الارض التي يستهدفهـا الغزو سـواء كانت رجعيـة او تقدميـة . امـا المعارك فتدور ضـد القوى التـي تعترض الطريق او قد تقطعه في المستقبل . اما استهداف الجمهوريـة العربيـة المتحدة بالذات فـلان عزل مصر عـن الوطـن العربي يمثل هزيمـة ساحقـة للحركة القوميـة . وعندمـا تهـزم الحركة القوميـة يصبح الوطـن العربي،بمـا فيه مصر ، لقمة سائغـة للامبرياليين الاميركييـن .

## سؤال ( ١٣ )

الا تكشف الاجابة عن السؤال السابق حقيقـة الخطأ الذي تكرر في المحاضرة وهو الحديث عـن الدول العربيـة كمـا لو كانت متساوية في الموقف القومي ،او الموقف التقدمي ،او الموقف من فلسطين،بحجة انها ما دامت كلهـا اقليميـة فكلهـا فاشلة ، هـل يصـح بالنسبـة للجمهوريـة العربيـة المتحدة مثلا ما يصح بالنسبة لتونس ؟

## جواب ( ١٣ )

ارجـو ان يكـون واضحـا اننـا عندمـا نتحدث عـن الدول ،او الدولة ، نتحدث عن مؤسسـة سياسيـة ذات مضامين فكريـة واقتصادية وسياسيـة خاصة . وهي ذاتهـا شخص اعتباري (معنوي) خاص متميز عـن الاشخاص الذين يعملون في اجهزته . هذه الدول ، المؤسسة ، شخص من اشخاص القانـون الدولي ملتزمة به في حركتها الخارجيـة في مواجهـة الدول الاخرى . وهذه الدولة ، المؤسسة ، شخص مـن اشخاص القانـون الداخلي ملتزمة به في حركتهاالداخلية في مواجهـة الشعب الذي تضمه . وهذه الدولة المؤسسه ، محـدودة المقدرة بامكانياتهـا الخاصة ، وهي في الوقت ذاته حائـل دون ان يستفيد الشعب من اية امكانيات غيـر امكانياتهـا الخاصة . انهـا ساحة النشاط الاجتماعي وهي في الوقت نفسه حدود هـذا النشاط .

ونحن عندما نقيم الدول العربية على حقيقتها كدول ، ولكن من وجهة نظر قومية ،أي على ضوء المقارنة بين ما نستطيع ان نقدمه الى الشعب العربي فيها من امكانيات التقدم ، وبين ما يمكن ان يحصل عليه هذا الشعب نفسه من امكانيات في ظل دولةالوحدة الاشتراكية الديموقراطية نقول انها فاشلة لانها اقليمية .وهذا يصح بالنسبة الى جميع الدول العربية .

اما مقارنة الدول العربية فيما بينها فشيء اخر . انها تختلف مساحة وعددا وثروات وامكانيات ونظاما وحكاما وقادة . وفي هذا لا تستوي دولة مع دولة اخرى . ولا يعنينا الان ان نصوغ جدولا مقارنا لحركة التقدم في الدول العربية . انما الذي يعنينا تماما ان نفسر ذلك الاختلاف بين الدول العربية في موافقها من القضايا القومية . قد يبدو عسيرا على الفهم ان نقول مثلا عن الجمهورية العربية المتحدة انها دولة اقليمية ، في ذات الوقت الذي نقول فيه أن اتجاهها القومي حقيقة تزعج الاستعمار الىدرجة التحالف مع الصهيونية لتصفية هذا الاتجاه بالقوة المسلحة . ان انفتاح مصر على امتها العربية كان في ذاته نصرا قوميا فكيف تحقق في ظل الاقليمية ؟ ودعم ثورات التحرر في الجزائروفي اليمن وفي كل مكان من الوطن العربي، حركة قومية ، ولا نقول مجرد موقف ، فكيف تمت فيظل الاقليمية ؟ واذا كانت الانتصارات القومية قابلة للتحقق في ظل الدول الاقليمية ، ومن خلالها ، فلماذا نتهم الاقليمية بالفشل ؟

اسئلة مكررة ، ومبررة .

ومع هذا لننظر معا الى البدهيات . والبدهية الاولى ان القوى القومية التقدمية التي تجسد الحركة القومية تعيش وتمارس نشاطها الفكري والسياسي في ظل تجزئة وطنها العربي الى دول اقليمية متعددة . وبحكم القيود الاقليمية على التحامها وشمول نشاطها الوطن العربي كله ، يتجه هذا النشاط الى تحقيق اكبر قدر من التقدم تسمح به الامكانيات الاقليمية مع محاولة كسر القيود الاقليمية الممثلة في الدولة ودستورها وحدودها وقانونها ومحاكمها وسجونها للالتحام بالقوى القومية التقدمية الاخرى التي تفعل نفس الشيء في دول عربية اخرى .

ثم يأتي الموقف من سلطة الحكم في الدول الاقليمية .

عندما تكون الدولة في قبضة قوى اقليمية ، تبدو الاقليمية منسجمة مع ذاتها ودولتها ، وهنا ينكشف دورها الفاشل الرجعي العميل ونكون امام نموذج « تونس تحت حكم بورقيبة » . هناك الدولة الاقليمية التي يحكمها الاقليميون حيث تسحق القوى القومية التقدمية بقسوة وحشية ، وحيث تتآمر الدولة علنا مع الاستعمار ومع الصهيونية أيضا ، وتبرر تآمرها بفكر تنسجم اقليميته مع رجعيته . ولكن الامر ليس على هذا الوجه في كل الدول العربية، اذ ان القوى القومية التقدمية ليست قوى سلبية او ضعيفة . بل حدث ويحدث أن يتولى قادة لا شك في ان اتجاههم القوميالتقدمي مسئولية الحكم في دولة اقليمية . هنا يقوم الصراع الذي لم يرد في كتب الفقه الدستوري أو فقه كتاب الصراع الاجتماعي . قيادة لا تؤمن بالدولة الاقليمية تصبح هي ذاتها صاحبة الدولة الاقليمية، قيادة لا تؤمن بشرعية التجزئة ، ومع هذا تحتكم الى الشرعية الاقليمية في تعاملها الدولي . قيادة تؤمن بوحدة الامة العربية ومع هذا تجد نفسها مضطرة الى معاملة ابناء هذه الامة معاملة الوافدين الاغراب . قيادة تؤمن بوحدة الامكانيات العربية ، ومع ذلك تجد نفسها مضطرةالى الدخول في سباق المنافسة بين دول التجزئة .قيادة تؤمنبان التقدم لا يقوم على اساس التجزئة ومع ذلك تحاول حل المعادلة الصعبة في الاقليم بينما المعادلة لا تحل الا في ظل الوحدة . والصراع دائم بين الاتجاه القومي وقيود الاقليمية التي تشده الى الوراء : قيود الدستور والقانون والالتزامات الدولية. ووراء هذا صراع اجتماعي لايتوقف بين القوى القومية التقدمية التي تقف وراء الاتجاه القومي الذي تمثله القيادة وبين القوى الاقليمية ذات المصالح التي تجسدها الدولة . وقد سحق هذا الصراع المرير بعض الحكام الذين وقعوا فيشرك الحكم الاقليمي، فاذا بهم من خلال تراكم وتبرير تصرفاتهم اليومية، من اول تفتيش الحدود الى وعود العدالة الاجتماعية ، يجدون انفسهم وقد اصبحوا اقليميين تحت شعار التقدمية . ومنهم من اراد ان يغطي هزيمته التي يشعر بها شعورا قويا فاتجه الى مزايدات قومية ، او تقدمية ، هو اول من يعلم انها غير قابلة للتحقق . ومنهم من صمد للصراع الذي لم يحسم بعد . هنا تستطيع القيادة القومية ان تدفع بالدولة الى معارك التحرر بجرأة وحسم برغم الاقليمية ، لان المجاهرة بالرغبة في الانسحاب من معارك التحرر يكشف ارتباط الاقليمية بالاستعمار ، فهي توافق علنا وتنقد سرا وتبحث عن مخرج غير متهم من متاعب التحرر العربي . ولكن عندما تطرح قضية الوحدة لا تقبل الاقليمية ان تلغى دولتها فهي تقبل التعاون والتحالف والوقوف في صف واحد ... الخ ولكنها لا تقبل الوحدة . ولما تمت الوحدة نتيجة لعلاقة قامت بين القواعد والقيادة متخطية الدولة ، كانت الاقليمية بالمرصاد فلم تترك فرصة واحدة لاضعاف الوحدة واعدادها للانفصال .

ان هذا يعني ان ما يتحقق في اتجاه قومي عن طريق الدول العربية انما يعبر عن مرحلة انتصار للقيادة القومية التقدمية في صراعها ضد دولتها الاقليمية ، ولكن انحسار هذا الاتجاه من حين الى حين يدل على ان الصراع لم يحسم ، وهو لا يحسم ما دامت الدولة الاقليمية قائمة ، لان قابلية الدولة الاقليمية للاستجابة لمتطلبات النضال القومي محدود ، ومن هنا فهي اداة فاشلة في النهاية . فكيف يمكن الخروج من هذا المازق اي كيف يمكن ان تحكم القوى القومية التقدمية دولة عربية بدون أن تتحول هي الى قيادة اقليمية ؟ بالتنظيم القومي الثوري، الذي يرشح لها حكامها وتبقى قيادته بعيدة عن سجن الاقليمية ، قادرة على ان تواصل نضالها القومي الى ان تكسب ارضا جديدة فتقيم دولة الوحدة النواة .

الم نقل ان التنظيم القومي الثوري هو الاداة الوحيدة الصالحة لحل مشكلات القوى القومية ؟

## المقاومة من وجهة نظر قومية :

### سؤال ( ١٤ )

١ ـ كيف يمكن القول اطلاقا بان الدول العربية كانت وما تزال وستظل ، منفردة او متحالفة ، غير قادرة على تحرير فلسطين لان تحرير فلسطين يقع خارج نطاق اهدافها في حين انه يمكن لقوة قومية تقدمية في مكان السلطة ان تستهدف تحرير فلسطين وان تسخر قوى الدولة ذاتها لهذا التحرير .

ب ـ ثم اليست اسرائيل دولة قائمة على اصغر الاقاليم العربية فلماذا انتصرت ؟

### جواب ( ١٤ )

أ ـ اما عن مقدرة الدول العربية على تحرير فلسطين فقد قلنا انها عاجزة ما دامت « اقليمية » لان الاقليمية هي مصدر الفشل، وما دامت الدولة اقليمية فان اية قوة قومية تتولى السلطة لن تجد من بين اهداف دولتها مسئولية تحرير ارض تعتبرها الدولة الاقليمية ارضا اجنبية . فالقوة القومية التي تتولى السلطة في اية دولة عربية لن تستطيع ان تدخل في اهداف دولتها تحرير فلسطين الا اذا رفضت التجزئة العربية واعتبرت انها دولة قومية . وهذا يعني ان ترفض وجود دولتها الاقليمية

ذاتها وتحيلها الى دولة وحدة نواة . والدولة تتحول الى دولة وحدة نواة عندما تصبح قاعدة الثوريين العرب ومنطلقهم الى تحرير الأرض العربية في كل مكان واسقاط الاقليمية في اي مكان ايضا. فان استطاعت القوة القومية التي تتحدث عنها ان تفعل هذا قد سحقت دولتها الاقليمية قبل ان تستطيع ان تخطو خطوة واحدة خارج حدودها .

ب ـ اما عن اسرائيل فهي ليست دولة على اقليم يمكن مقارنته باية دولة عربية . ان اسرائيل هي القوة الضاربة التابعة لتنظيم صهيوني عالمي . هو الذي خطط لها ، وهو الذي يمولها ويكسب لها الحلفاء والمؤيدين في العالم اجمع ، وتتحرك تحت قيادته لكسب مزيد من الارض تستوعب اليهود جميعا . والارض المحتلة ليست اقليما لدولة اسرائيل بل هي راس الجسر ، او القاعدة ، التي احتلتها الصهيونية لتحشد عليها قوتها الضاربة من اجل مزيد من التوسع . وهكذا نرى انه عندما نقول ان على المقاومة ان تتحول الى قوة ضاربة لتنظيم قومي جماهيري ثوري، فاننا لا نبتكر اسلوبا جديدا لقتال الصهيونية انما ندعو الى الاسلوب المتكافىء مع آساليب الاعداء . وعندما تتكافأ الاساليب يكون النصر حليف الاوفر امكانيات ، واكثر تحملا لمرارة الصراع ، واعدل غاية .

## سؤال ( ١٥ )

ما معنى ان المقاومة كاسلوب قتال جماهيري هي مدخل تاريخي لبناء التنظيم القومي . هل يعني هذا انه لا يوجد اي مدخل غيره ؟..

## جواب ( ١٥ )

نعني بالمدخل التاريخي انه افضل الامكانيات المتاحة في مرحلة تاريخية محددة .

ولا شك ان دخول الجماهير العربية ساحة القتال المسلح ضد الغزو الصهيوني يقدم افضل الامكانيات المتاحة لبناء تنظيم قومي ثوري في الوقت الحالي . ليس معنى هذا انه لا يوجد اي مدخل غيره ، او ان مصير الامة العربية متوقف على ما يراه نفر من ابنائها ولو كانوا من ابطال المقاومة . ولكن معناه ان ابطال المقاومة من جهة ، والقوى القومية التقدمية من جهة اخرى امام فرصة تاريخية يتحملون جميعا مسئولية اهدارها .وعندئذ ستبحث الجماهير العربية عن مدخل اخر ، ولو كان اصعب. اما ما هو المدخل الاخر ، الاصعب، فذاك حوار لا يدور الا بين الذين يعنون ما يقولون ، اي الذين لا يبحثون عن المدخل من قبيل الفضول ،ولكن لانهم لا يقبلون الحياة نفسها الا في داخل تنظيمهم القومي اولئك يعرفون ما يجب عليهم ان يفعلوه ليجسدوا ولاءهم لجماهيرهم امتهم بالرغم من كل العقبات والصعوبات.

## دعوة الى القوى العربية التقدمية :

## سؤال ( ١٦ )

ما هو مفهوم التقدمية ؟

## جواب ( ١٦ )

اين ، ومتى ؟

ان التقدمية موقف ايجابي قائم على اسس خمسة :

الاول : الوعي بان كل شيء في الوجود متحرك متغير ابدا .

الثاني : الوعي بان كل شيء متغير متحرك يتقدم من الماضي الى المستقبل وينمو من خلال الاضافة نموا جدليا . الثالث : الوعي بان مضمون التقدمية يختلف من زمان الى زمان في المجتمع الواحد . الرابع : الوعي بان مضمون التقدمية يختلف من مجتمع الى مجتمع في الزمان الواحد . الخامس : ان التقدمية على هذا الاساس هي التبني الايجابي للحلول الصحيحة للمشكلات التي يطرحها مجتمع معين في مرحلة تاريخية معينة .

فان اردت ان تطبق هذا على المرحلة التاريخية التي تمر بها الامة العربية ،فان المشكلات الرئيسية التي تطرحها الظروف العربية الان هي الاحتلال والتجزئة والتخلف والاستغلال . وان حلولها الصحيحة هي الحرية والوحدة والاشتراكية . وعلى هذا يكون مفهوم التقدمية بالنسبة الينا هو التبني الايجابي للحرية والوحدة والاشتراكية، معا .

## سؤال ( ١٧ )

اذا كنا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة فكيف عرفنا انها بكل منظماتها لم تتبلور بعد ـ نهائيا ـ لا فكرا ولا تنظيما فهي قابلة للتطوير والتطور . اننا نعرف ان اقدم المنظمات في الساحة ذات اتجاهات مبلورة منذ نشاتها ولم تتغير كما ان بعض المنظمات قد انشقت على اساس عقائدي مما يدل على انها متبلورة .

## جواب ( ١٧ )

اننا نعرف ما تقول ومع هذا فاننا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة . ربما لان ضراوة المعركة التي تخوضها المقاومة ضد الصهيونية والامبريالية وعملائها تحول دون اباحة كثير من اسرار المنظمات . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فانا لا نستطيع ان نعول على كل ما يقال عن المقاومة لاننا لا نستبعد تدخل القوى المعادية ، بطريق او بآخر ، فيما يعلن . ومن بين ما نعرفه ان بعض الشباب العربي قد حددوا مواقفهم النهائية من منظمة او اكثر على اساس انها قد تبلورت نهائيا على ما يعرفونه عنها معرفة ممارسة . ونعرف ايضا ان قيادات بعض المنظمات تتصرف كما لو كانت قد وصلت الى صيغتها النهائية . ثم نعرف معرفة اليقين ان هذا غير صحيح وان المقاومة بكل منظماتها لم تتبلور بعد ـ نهائيا ـ لا فكرا ولا تنظيما . ذلك لاننا نعرف بان العبرة في المواقف النهائية لا بما يظنه الناس بانفسهم او بغيرهم ولكن بملاءمة تلك المواقف للظروف الموضوعية . اي ان طبيعة المعركة ضد الغزو الصهيوني هي التي ستكون العامل الرئيسي في بلورة المقاومة فكرا وتنظيما . ولما كنا نعرف ان المعركة ضد الغزو الصهيوني معركة قومية تقدمية فانا على يقين من ان كل المنظمات ـ بدون استثناء ـ ستكون مضطرة الى تطوير نفسها في اتجاه طبيعة المعركة . ان هذا يمكن ان يتم عن طريق المعرفة العلمية ومن الآن ، ولكن تجاهله لا يعني انه لن يتم ، فخلال المعركة الطويلة ، وتراكم الخبرات ، والمعاناة اليومية للتناقضات ، والخيار الملزم بين النصر او الهزيمة ، سيخرج من الساحة كل الذين لا يلائمون طبيعتها ولا تبقى في الساحة الا المقاومة القومية التقدمية .

## سؤال ( ١٨ )

لماذا ترى ان الاتجاه المرتبط ببعض الدول العربية سيخرج من المعركة بمجرد انقضاء مرحلة ازالة آثار العدوان اي بخروج الدول العربية المرتبطة بها من المعركة بعد استرداد ما ضاع من اقاليمها في يونيو ١٩٦٧ ، ولا تقدر احتمال بقاء هذه المنظمات في الساحة ، وما الذي يمنع من استمرار دعم الدول العربية للمقاومة حتى بعد ازالة آثار العدوان ؟

## جواب ( ١٨ )

لانه عندما تخرج الدول العربية من المعركة تكون ملزمة في مواجهة

المجتمع الدولي بان تكلف القوى التابعة لها من الاستمرار في القتال . فاذا لم تفعل فهي في حرب تتجاوز حدودها ايا كانت صورة القوى التابعة لها ، نظامية او منظمة . ولما كانت الدول العربية تخوض المعركة الآن ـ كما تعلن ـ في سبيل ازالة آثار العدوان وفي حدوده ، فانها كدولة « ستكف القوى التابعة لها عن القتال فور ازالة آثار العدوان . وتجد المنظمات التابعة لها حينئذ ان عليها ان تطيع التعليمات الصادرة من القيادة الحقيقية . ومع هذا لنفترض ان المنظمات التابعة لم تطع وتمردت على قيادتها . انها حينئذ ستجد نفسها بدون قواعد ولا اموال ولا مزيد من الاسلحة وستحاول ان تحصل على ما تريد من الجماهير وليس من الدولة ، فتكتشف انها لم تكن يوما مرتبطة بجماهير منظمة قادرة على تعويضها ايجابيا عن رابطتها بالدولة التي خذلتها ، اي ستفتقد التنظيم القوي القادر على ان يمدها بعناصر المقدرة على الاستمرار ، من كل الاقطار بدون توقف على موقف الدولة في اي قطر على حدة . ومع هذا لنذهب الى اكثر من هذا ونفترض ان بعض الدول العربية ستخرج من المعركة « علنا » ولكن تظل تدعم المقاومة سرا . ان هذا لن يغير من الوضع الدولي شيئا فلا اسرار بعيدة عن معرفة اجهزة الدول المعنية بمراقبة جدية خروج الدول العربية من المعركة بعد ازالة آثار العدوان ثم ان الدعم السري قابل للانقطاع عندما ينكشف . فلا تبقى اذن وسيلة لتامين استمرار دعم المقاومة بدون تدخل من الدولة او بدون ان تكون مسؤولة دوليا عن هذا الدعم الا ان تتولاه جماهير منظمة غير مرتبطة باية دولة . ذلك هو التنظيم القومي الثوري الذي لا تسال الدول العربية عن نشاطه لانه ينشط بعيدا عن اية تبعية لها ، بل ينشط بالرغم منها اذا اقتضى دعم المقاومة ذلك .

## سؤال ( ١٩ )

هل هناك تناقض بين مسؤولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين، وبين مسؤولية القوى القومية التقدمية عن تحرير فلسطين ؟

## جواب ( ١٩ )

لا تناقض ابدا الى ان تتحرر فلسطين . ولا خلاف ايضا اذا كان المقصود هو ان شعب فلسطين مسؤول عن تحرير فلسطين كجزء من مسؤولية القوى القومية التقدمية عن تحرير فلسطين . ولكن الخلاف يقوم اذا كان المقصود أن شعب فلسطين وحده ـ دون القوى القومية التقدمية ـ مسؤول عن تحرير فلسطين لانه وحده صاحب الحق في فلسطين ، فهي وطنه .ان في هذا عزلا للجماهير العربية عن معركة تحرير فلسطين ، او تمهيدا لعزلها . وهو ما لا تقبله الجماهير العربية. اما كيف يمكن التفرقة بين الشعار بمفهومه الاول والشعار بمفهومه الثاني . فمن خلال ما تمثله المنظمات ذاتها ، فالمنظمة القومية ستكون مفتوحة للجماهير العربية ،بمافيهم العرب من فلسطين بل قد تكون غالبية قواها من عرب فلسطين . لا شيء يمنع من هذا . وهكذا يتحقق الشعار بمفهومه الثاني وبدون خلاف . اما اذا كان الشعار مجسدا في منظمات مقصورة على العرب من فلسطين قيادة وكوادر وقواعد ، فكرا واستراتيجية وحركة ، فان سمتها الاقليمية تحول دون امكان اي تاويل قومي للشعار . وقد قلنا منذ البداية الا تناقض الى ان تتحرر فلسطين ونضيف هنا ان هذا التناقض لا يقوم حتى مع وجود الخلاف . لان التناقض مولد للصراع ، والخلاف تمييز لا يقتضي الصراع . ومن وجهة نظر قومية نرى ان التحالف ، وليس الصراع ، بين الاقليمية الفلسطينية وبين القوى القومية واجب قومي الى ان يتحقق النصر على العدو المشترك وتتحرر فلسطين لنرى بعد هذا لمن تكون الارض التي تحررت .

## سؤال ( ٢٠ )

ان الجماهير العربية كلها ـ وكما هو ثابت ـ تؤيد وتدعم المقاومة بدون وجود للتنظيم القومي فلماذا التركيز على ضرورة هذا التنظيم القومي كشرط لانتصار المقاومة ؟

## جواب ( ٢٠ )

لان المفروض ، بعد الهزائم التي لحقت بنا ، ان نحاول النظر الى ابعد من انوفنا . ان الجماهير العربية كلها ـ وكما هو ثابت ـ تؤيد وتدعم المقاومة لان المقاومة مباحة ولان تاييد الجماهير العربية لها مباح. مباح مؤقتا لان الدول العربية في حاجة الى المقاومة . وسيظل مباحا طالما هي في حاجة اليها . ونحن ننظر الى ما بعد هذا . عندما تصبح المقاومة غير مشروعة ، ويعود حمل السلاح جريمة معاقبا عليها ، ويعود النضال الجماهيري نشاطا « هداما » ، عندئذ سيتوقف مصير المقاومة على ما اذا كانت قد ارتبطت تنظيميا بالجماهير العربية ام لا ، لتستطيع قيادتها في الوقت المناسب ، ان تحركها ضد محاولات تصفية المقاومة ذاتها او تحريم التاييد والدعم الجماهيري لها . ان ما هو ثابت اليوم لن يظل ثابتا غدا الا ان نقيم من اليوم دعامة تثبيته في كل الظروف الى ان تنتصر المقاومة . وليس سوى التنظيم القومي الثوري دعامة موثوقة تستند اليها قوته الضاربة في ساحة المقاومة .

## سؤال ( ٢١ )

اذا كانت الدول العربية قد حالت وتحول دون قيام تنظيم قومي ثوري افلا تؤدي محاولة اقامته الى فتح معارك جانبية داخل تلك الدول وضدها يناقض ما تدعو له من ضرورة التحالف ضد العدو المشترك حتى مع الدول العربية التي تواجه اسرائيل وتعد للقتال ؟

## جواب ( ٢١ )

ان الاساس العقائدي للجواب هو ان الولاء اولا واخيرا للجماهير العربية . وعندما نقتنع بان قيام التنظيم القومي ضرورة لازمة لانتصار امتنا ، فيجب اقامة التنظيم القومي سواء رضيت الدول العربية ام لم ترض . ان الثوريين حقا لا يستاذنون احدا عندما يريدون الوفاء بمسؤولياتهم الثورية . والقوميون لا يستاذنون الاقليمية . ومع هذا فان الوعي القومي على ضرورة تجنب اية معارك مع حلفاء المعركة يحتم على القوى القومية الا تتحرك الا في الحدود التي تسمح بها ظروف التحالف من اجل المعركة . ان هذا يؤثر في صيغة الحركة وليس في ضرورة التحرك . وظروف التحالف من اجل المعركة لا تسمح الآن باقامة تنظيم قومي يتعرض لانقضاض الاقليمية ويضطر للدفاع عن نفسه في معارك جانبية . ولكنها ملائمة تماما للاعداد الفكري والبشري من خلال المعركة ذاتها . لهذا كانت دعوتنا الى تكوين كتائب « الانصار » . وكتائب « الانصار » كما نفهمها وندعو لها ليست التنظيم القومي ولكنها حركة قومية تعبيء الجماهير من اجل الانتصار في المعركة وتدعم التحالف العربي ، وتحول دون الاستسلام او المساومة ، وتسحق القوى العميلة والانهزامية ، وتحرض على القتال ، ثم تقاتل فعلا في ساحة المقاومة في صفوف قوتها الضاربة بقدر ما تستطيع وبقدر ما تحتاج قوتها الضاربة الى دعم بشري . وامام « الانصار » ساحة بعيدة فعليا عن يد الاقليميين . وامامهم حاجة الدول العربية ذاتها الى دعم الجماهير المنظمة . كل هذه ظروف تمثل افضل الامكانيات لاعداد الكوادر الثورية ، التي صقلتها المعركة ذاتها ، ولكنها ظروف موقوتة بمرحلة ازالة آثار العدوان . وهذا يعني ان على « الانصار » ان يلتحموا في تنظيم قومي قبل ان تنقضي هذه المرحلة ليستطيعوا ان يؤمنوا للمقاومة امكانيات الاستمرار في القتال .

بقي ان نقول ان اية دولة عربية تحول دون اسهام الجماهير اسهاما منظما في المعركة ضد الغزو الصهيوني ، تكون هي بذاتها قد خرجت على قاعدة التحالف من اجل المعركة . وتكون الجماهير العربية مطالبة بان تتعامل معها بالاسلوب الذي يناسب موقفها .

## سؤال ( ٢٢ )

لماذا تصر هنا وفي كتاب « ما العمل » على تسمية ما تدعو له باسم « كتائب الانصار » ؟

جواب ( ٢٢ )

ليس ثمة اصرار لا هنا ولا هناك . انما ان لا بد من اسم ما يكون ذا دلالة بقدر الامكان . وقد اخترنا اسم « كتائب الانصار » اول مرة في رسالة الى الشباب العربي في اواخر يونيو ١٩٦٧ اي فور الهزيمة وكان الاسم اشتقاقا من دعوة الى الشباب العربي بان ينصروا امتهم في محنتها . ثم وجدناه ملائما لما عرف عن قتال الوحدات الجماهيرية بينما الحرب النظامية قائمة ، فقد خاضت الجماهير السوفييتية « حرب الانصار » بينما كان الجيش يتقهقر امام الهجوم النازي ،وعادت فصاحبت مسيرته الى النصر . ثم وجدناه اكثر ملاءمة للتعبير عن نصرة المقاومة . وهي ايضا كتائب انصار المعركة . او كما تشاء لاني لا اصر الا على الدعوة لتنظيم الجماهير واشراكها في المعركة . هذا هو الجوهري فيما ادعو له ، اما الاسم فشكل لا يستحق الاصرار عليه .

سؤال ( ٢٣ )

اليست افضل صيغة واقعية ، وعلمية ايضا ، لمواجهة الغزو الصهيوني هو وحدة كل منظمات المقاومة في جبهة مقاتلة ووحدة كل القوى التقدمية في جبهة عربية تدعم المقاومة وتساندها ؟ اني اعتقد ان هذا هو البديل للتنظيم القومي .

جواب ( ٢٣ )

نعم ان افضل صيغة واعية ، وعلمية ايضا ، لمواجهة الغزو الصهيوني هو وحدة كل منظمات المقاومة في جبهة مقاتلة ووحدة كل القوى التقدمية في جبهة عربية تدعم المقاومة وتساندها . ولكن ليس هذا هو البديل عن التنظيم القومي . كما ان التنظيم القومي ليس بديلا عن الجبهة . اذ عندما يقوم التنظيم القومي لن يناضل في عزلة عن القوى التي تواجه عدوه المشترك ، بل سيناضل في جبهة مع كل حلفاء اغراضه المرحلية .

وما دمت تحتكم الى العلم فاني اضع تحت نظرك القوانين العلمية للتحالف الجبهوي . ان النضال في جبهة هو الصيغة العلمية لتعاون قوى « مختلفة اصلا » ضد عدو مشترك . ان هذا التحالف مهما طالت مدته مرحلي ومتوقف على انتهاء المعركة ضد ذلك العدو المشترك . وفي مرحلة التحالف تؤجل القوى المتحالفة صراعاتها الاصيلة . تؤجلها ولكن لا تنهيها لانها صراعات مرتبطة بالتناقضات التي جعلت منها قوى متعددة بدلا من ان تكون قوة واحدة . ويقاتل المتحالفون عدوهم المشترك بدون ان يغفل احد منهم عن الصراع الذي سيدور فيما بينهم بعد النصر في معركتهم المشتركة . فيحاول كل منهم ان يحضر للمرحلة التالية ، اما بكسب قوى ومواقع جديدة تحت غطاء المعركة المشتركة ، او بتصفية الحلفاء عن طريق امتصاص قواعدهم وتصفية مواقعهم . وهكذا لا يتوقف الصراع الخفي بين حلفاء الجبهة ، وان كان لا يصل في العنف او الحدة الى درجة اضعاف قوتهم المشتركة ضد العدو المشترك . او المفروض ان يكون كذلك احتراما لقوانين التحالف الجبهوي .

هذه هي الجبهة ، وهي واقعية ، وعلمية ، وضرورية في هذه الحدود ، اي بدون ان يقال انها طريق الى الوحدة او انها بديل عن الوحدة ، وحدة التنظيم القومي . ونحن عندما ندعو الى قيام تنظيم قومي ثوري ذي قوة ضاربة في ساحة المقاومة ، لا ندعو الى الغاء وجود القوى الاخرى ، بل ندعو القوى القومية التقدمية الى ان تتجسد في وجود منظم تفتقده الساحة ، بدلا من بقائها مبعثرة بين منظمات محدودة وبين قواعد المنظمات الاخرى . اننا ندعو الى دخول المعركة ولا ندعو الى اخراج احد منها ، وعندما نوجد معا امام عدو مشترك فان الجبهة ستكون صيغة نضالنا المشترك . الى ان تتحرر فلسطين ، فتخرج كل القوى من ساحة النضال العربي ويبقى التنظيم القومي قائدا لنضال الجماهير ضد الامبريالية والاقليمية والرجعية الى ان يقيم دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية . وهكذا ترى ان التنظيم القومي لا ينفي الجبهة ، ولكنه لن يتوقف عن النضال القومي عند الحدود التي يتوقف عندها حلفاء المرحلة ، بل تتجاوز استراتيجيته تحرير فلسطين الى الغاء التجزئة واقامة دولة الوحدة . ومن هنا فانه هو وحده ، وليس الجبهة ، الضمان الوحيد لاستمرار الثورة العربية حتى غاياتها العظيمة .

القاهرة

**عصمت سيف الدولة**


صدر حديثا

# العمل الفدائي

انه ارشاد تطبيقي ميسر لمزاولة حرب المقاومة الشعبية والعمل الفدائي على أرض يحتلها العدو ، ويرفض أهلوها الاستسلام . فيه نظرة تاريخية وتقييم ممتع للعمل الفدائي: أصوله، وطرائقه،والاساليب الاجدى فيالدعوة اليه وممارسته والظفر بعد أدائه . وهذا ما نحن في الوقت الحاضر في أمس الحاجة اليه . فالمؤلف رجل خبر حرب المقاومة الثورية والانتفاض على مختلف أعداء الشعب في أميركا اللاتينية والحرب الاهلية الاسبانية ، وهو يضع جميع خبراته في متناول اليد لكل من يود الانتفاع بتجارب السابقين . كما ان الترجمة سهلة متبسطة لا يعتريها التباس .

انه كتاب كل مواطن ، الفدائي للمناقشة والتطبيق ، والمواطن العادي للتأهب كي يكون فدائيا يوما ما . لهذا نجده يشرح أفضل السبل لنصب الكمائن ولغم العربات المجنزرة ونسف مستودعات الذخيرة والتخلص من أفراد دوريات العدو . وفيه كيف يعيش الفدائي ورجل المقاومة ، وماذا يلبس في كل فصل ، وكيف يسلك مع الغير .

انه ثروة جاهزة للاخذ والتطبيق .

**الناشر : دار الآداب بالاشتراك مع دار العلم للملايين**

**الثمن ٢٠٠ ق.ل.**